قلوب كسيرة

رواية

تأليف

ريهام عياد

obeikan.com

طبعة ٢٠١٧

عياد، ريهام

قلوب كسيرة/ ريهام عياد،غلاف ريم السخاوى –الجيزة: أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، ٢٠١٦ .

٢٢٨ ص ,٢٠ سم

تدمك: ٤ ٤٦٢ ٣٩٩ ٩٧٧ ٩٧٨

١- القصص العربية

أ - السخاوى،ريم (غلاف) ب-العنوان

obeikan.com

قلوب كسيرة

رواية

تأليف

ريهام عياد

obeikan.com

رئيس مجلس الإدارة

عادل المصرى

عضو مجلس الإدارة المنتدب

نوران المصرى

رقم الإيداع

٢٠١٦/١٩٠٤٢

الترقيم الدولى

٩٧٨-٩٧٧-٣٩٩-٤٦٢-٤

الطبعة الاولى

طبعة ٢٠١٧

الكتاب : قلوب كسيرة

المؤلف : ريهام عياد

الغلاف : ريم السخاوى

الناشر: أطلس للنشروالإنتاج الإعلامى ش.م.م

٢٥ش وادى النيل – المهندسين – الجيزة

atlas@innovations-co.com

www.atlas-publishing.com

تليفون : ٣٣٤٦٥٨٥٠ – ٣٣٠٤٢٤٧١ – ٣٣٠٢٧٩٦٥

فاكــس : ٣٣٠٢٨٣٢٨

****

obeikan.com

هـذه الروايـة مـن نسـج الخيـال، وأي شـبه بـين أشـخاصها وأحداثها وأماكنها مع أشخاص حقيقيين وأحداث وأماكن حقيقية هـو محـض صدفـة ومجـرد مـن أي قصـد..

obeikan.com

obeikan.com

مقدمة

لكل إنسان قصته، أو بالأحرى كسرته، وجرحه الخاص، ربما يكون مَر على الجرح يوم أو شهر أو حتى سنوات إلا أنك حين تتذكره، تشعر أنه جرح اليوم وليس أمس، حاضر وليس ماضي، تشعر بالأنين لجرح مازال مفتوحًا، مازال ينزف، فلم يستطع الوقت أن يضمده أو حتى يساعدنا على نسيانه، إن الجرح الذي يقسم سنوات حياتك إلى ما قبل وما بعد، إنه الحد الفاصل، الخط الفاصل، الجرح الذي يمشي على قدمين يذهب معك حيثما تذهب، يجالسك وقت وحدتك ووقت انشغالك، وقت حلمك واستيقاظك، فأصبح لصيقًا ملتصقًا بك، تخلص له وتخون نفسك به، تحمله على كتفيك، في حين واجب عليك أن تركض وتركض في هذه الحياة فيثقل كاهلك ويصبح جزأً لا يتجزأ منك ولا تستطيع التخلص منه، وحين ينتهي بك العمر تعي تمامًا أنك أضعت الكثير من حياتك بل ضعت أنت وتآكلت؛ متغافلاً عن حقيقة أن حياتك على الأرض واحدة، وأنك لم تعشها كما يحق لها أن تُعاش، حينها تندم في وقت لا يُقبل فيه الندم.

فكيف لك أن تقود قطار مستقبلك ورأسك مُدارًا للوراء وعينيك صوب الماضي، إن فعلت فحتمًا ستصاب ومن المحتمل أن تموت وأنت على قيد الحياة.

إن مررت بمحنة ما، تجربةً ما أو حتى وجع ما أدى بك إلى السقوط مطروحًا أرضًا، استند على نفسك وقم، نظف ملابسك من غبار السقوط، ادفن ألمك عميقًا جدًا في طي النسيان، و لا تنبش بيدك جروح الماضي؛ لأنها بكل تأكيد ستسمم حياتك، ابدأ من جديد وقُدٌ مستقبلك بعزيمة أكبر وإرادة أقوى، فالحياة لا تقف على عتبة أحد.

لتنسى ما هو وراء وامتد إلى ما هو قدام..

«المؤلف»

●●●

obeikan.com

تمهيد

تمددت هناء على سريرها بجسد نحيل، هزيل، السكون يملأ المكان باستثناء صوت شخير حازم الذي يعلو وينخفض مع دقات الثواني، نظرت إليه وإلى ملامحه تمنت أن تلمس وجهه إلا أنها لم تُردِ إيقاظه أو إقلاقه، لقد صممت داخلها أن تنام بجواره هذه الليلة، رفعت عينيها إلى الأعلى مناجية خالقها، قائلة: لماذا تحجب وجهك عني؟ ألست أنا عمل يديك، انظر إليَّ، تحنن عليَّ يا الله من فضلك، لم أعد أتحمل كل هذا العناء، يا الله ارحمني من فضلك إن أردت فاشفني وإن لم ترد فخُذني لديك أنا في أشد الاحتياج لرحمتك وعفوك ورأفتك، الطف بي!!

مر شريط حياتها أمامها، قد تسرسب عمرها من بين يديها،

كانت أحشاؤها تئن وتتوجع داخلها، حياتها ضاعت ولم تفعل فيها شيئًا يُذكر، تذكرت هناء وهي بنت عمة حازم قبل الزواج كم تمنت أن يكون زوجًا لها، والدتها سعاد أخت كمال الفقي التي تزوجت من قريب لهم عاشوا واستقروا في السويس بعد الزواج وأنجبوا ثلاثة أطفال، ولدين وبنت، الابن الاكبر هو طاهر.. ثم هناء التي كانت تصغره بسنوات ثم ابنه الأصغر نبيل، عاشت هناء طفولتها كلها في مدينة السويس، وكانت أسرة سعاد

من ضمن المُهجرين من مدن القناة، تم تهجيرهم من السويس مع العديد من المهاجرين الذين هُجروا قصريًا، عقب الهزيمة المُرة، حتى لا يكونوا فريسة بين أنياب العدو ونقطة ضعف في قلب مصر ولذلك ارتأت السلطة المصرية أن من الأصلح للجميع تهجيرهم وتوزيعهم في شتى أنحاء المسكونة.

تركت أسرة سعاد الفقي وزوجها كل ما يملكون من أرض وبناية يقطنون فيها قد بناها زوجها لهم ولأولادهم وقد تركوا أهل القناة كل ما لهم وهم لا يعبئون شيئًا سوى مصلحة بلادهم بعد أن انكسرت روحهم وقلوبهم على أعقاب النكسة المُرة.

كانت مدن القناة نابضة بالحياة بسكانها، أصبح نهارها ليلاً في سواده وظلمته، وبعد أن كانت السمسمية والغناء الوطني هو الصوت المسموع الذي يتغنى به أهلها، لم يكن يُسمع صوت هناك سوى أصوات القنابل والدخان الذي يغطي المكان، وصوت نباح الكلاب الخائفة ومواء القطط المرتعبة وقد قُتل الآلاف من الجنود، كما دُمرت الحياة هناك، دمرت البيوت أيضًا.

أخذوا الأشياء التي يستطيعون نقلها على العربتين النقل المملوكة لهم إذ كان عمل زوج سعاد الفقي مثل أخيها كمال إلا أن الثاني يعيش في حي شبرا بالقاهرة، وهو نقل الرمل والزلط من المحاجر إلى المقاولين والقائمين على أعمال البناء..

انتقل أمين، وسعاد إلى القاهرة وأولادهم طاهر وهناء ونبيل.

التزمت الدولة بتوفير سكن وإعانة مادية بسيطة إلى كل المُهجرين آنذاك كما سهلت التحاق أطفالهم بالمدارس والجامعات لتخفيف العبء عليهم.

إلا أن أمين انتقل إلى حي شبرا بالقاهرة عند أخو زوجته، الذي استضافه بصدر رحب وأعطاه شقة في منزله ليقيم فيها إلا أنه عندما طال الوقت لم يريدوا أن يُثقلوا عليهم، خصوصًا أنهم شعروا بنوع من الاستقرار وأرادوا بعض الاستقلالية، فقام بتأجير مكان ليسكن فيه مع أفراد عائلته.

تخيلوا كما تخيل الجميع أنها أيام ويعودون إلى ديارهم إلا أن الأمر تجاوز السبع سنوات، عاشها الجميع بعيون مترقبة وقلوب قلقة ومتوترة ووجوه خائفة.

حتى عمت الفرحة في جنبات مصر كلها، واقتحم السرور قلوبهم، ضحكت الشوارع من فرط السعادة كما ملأ الضحك والتفاؤل أفواه وأرواح المصريين في شهر أكتوبر ١٩٧٣.

كانت الآلاف من الأسر المصرية قد فقدت عزيزًا لديها أثناء الهزيمة والنصر مثل أسرة كمال الفقي التي فقدت محفوظ أخو حازم الذي استشهد في ساحة المعركة.. اعتصر قلبهم عند معرفة

خبر استشهاده إلا أن ما عزى قلوبهم هو النصر لمصر وكان له القدرة على تضميد جراح الفراق لأهالي الذين استشهدوا فداءً لمصر وبهم استطاعت مصر رفع رأسها بكبرياء أمام العالم غير مسحوقة القلب والفؤاد.

وأنهم شهداء فداء للوطن.. فالمجد لشهداء الوطن.

وبعد النصر وعودة المهجرين إلى مدنهم ليقوموا ببنائها من جديد، عاد أمين بعدها بعدة سنوات في نهاية ١٩٧٧ مع عائلته إلى مدينته.. بعد أن تزوجت هناء فكانت عروسًا مناسبة لحازم في وجهة نظر الأسرتين.. كانت هناء تراه شابًا أنيقًا ووسيمًا إلا أنه قليل الكلام متقوقع داخل محارته الخاصة به، كثيرًا ما تمنت أن تخترق أسواره وتبحر داخل أعماقه..

كانت تعلم أنها أحبت زوجها من كل قلبها ولكن الحظ لم يحالفها في أن تكسب وده، لم يعطها حازم قلبه، أو يفتحه لها، حتى جسده لم يفتح يومًا أبوابه لها حين تشعر بالاحتياج إليه أو أن يضمها إلى صدره ويحتويها داخله، عاشت حياتها لأولادها، أما هم فقد كبروا ولم تشعر بدورها المهم في الحياة.. تذكرت والدها ووالدتها والشهيد محفوظ، النكسة والذل والنصر والعزة، مات والدها وكان مازال له بعض الأحلام التي لم تتحقق، إلى

أخـر يـوم في حياتـه كان مفعمًـا بحـب الحيـاة والطمـوح، حالـه حـال مـن دُفنـت معـه أحلامـه في قبـره ولـم تتحقـق يومًـا.

سـألت نفسـها: مـا هـو الهـدف مـن وجـودي في هـذه الحيـاة؟! لمـاذا خلقنـي اللّه؟ ولمـاذا وُجـدت مـن الأسـاس؟! أهـو فقـط لأتعبـد لـه؟! لا أعتقـد ذلـك، اللّه جل جلالـه لـم يكـن محتاجًـا إلـى عبوديتـي بـل أنـا المحتاجـة إليـه وإلـى ألوهيتـه وأن يشـملني بعطفـه ورحمتـه، اسـتغفرت ربهـا، إلا أنهـا لـم تجـد إجابـة علـى سـؤالها، ثـم قالـت لنفسـها: أنـا مـن قصـرت في حق نفسـي، كادت حياتـي أن تنتهـي دون أن يكـون لـي حلـم سـوى الفـوز بقلـب زوجـي وأولادي.

وصلـت هنـاء إلـى حالـة كبيـرة مـن الإعيـاء والوهـن، فـكان جلدهـا يُظهـر عروقهـا الضعيفـة والرقيقـة في وجههـا ويديهـا، وحـين داهمهـا إحسـاس بالقـيء وقبـل أن تتحـرك أخـذت في التقيـؤ مكانهـا ممـا أوقـظ حازمًـا، بالرغـم مـن تعاطفـه معهـا إلا أن رائحـة القـيء أذت أنفـه، وحـين سـألها:

ماذا بك هناء؟!

كانـت هنـاء عبـارة عـن مجموعـة عظـام مُكومـة في كيـس جلـدي، زحفـت رجفـة إلـى نبـرة صوتهـا والدمـوع تجـري علـى وجنتيهـا قائلـة: فقـط أشـعر بالإعيـاء الشـديد.

كان الهواء الموجود داخل الغرفة غير نقي بسبب القيء، فظهر على ملامح وجه زوجها حازم الاستياء، أراد أن يفتح الستائر والشباك للتهوية إلا أنه ظل مكانه بلا حراك وسألها هل أطلب لكِ الإسعاف؟

أجابت لا، أرادت أن تقول فقط كن بجانبي، إلا أنها لم تنطق بها ربما ملامح الامتعاض الواضحة عليه، جعلتها صامتة في حين ابتلعت كلماتها التي وصلت إلى جوفها وقد ازداد الشعور بالوحدة داخلها واحتلها كُلياً.

أجابها لا تقلقي ستكونين بخير، إلا أنه رآها تتدهور، خصوصًا أنها تعاني من الحُمى، سارع حازم لإيقاظ فريد ليساعده في نقلها إلى أقرب مستشفى وعندما عاد إلى الغرفة ليأخذوها، إلا أنها قد غابت روحها وسافرت كما غابت شمس عمرها ولم يجدوا سوى جثة هامدة مفتوحة الأعين ناظرة إلى الأعالي، وحين دخل فريد ورآها، صرخ صرخة دوت في أرجاء المكان سُمع صداها في الشوارع والبيوت التي تحيط بهم، دفن رأسه على حافة سريرها وظل يبكي ويشهق غير قادر على أخذ أنفاسه وعندما شاهده حازم رفعه من يديه حاول تهدئته وربت على كتفه، كان حازم لا يستوعب ما حدث وكأنه داخل حلم أو كابوس، هل فعلاً قد فارقته بهذه السهولة كما فارقت الحياة أيضًا؟! هل حقًا أنه لن يراها

مـرة أخـرى؟! لقـد كانـت دائمًـا بجانبـه، تهتـم بـكل شـيء دون طلبـات لنفسـها ترعـى بيتـه وأولاده دون تذمـر، كانـت مـن ضمـن المُسـلمات الموجـودة في حياتـه مثـل أمـه أو أختـه إلا أنهـا لـم تكـن حبيبتـه رغـم محاولاتهـا المسـتميتة معـه أن تقربـه منهـا وتمتلـك قلبـه.

●●●

obeikan.com

obeikan.com

البداية

فريدة وفريد، تفتحت عيونهم للحياة ونشأوا في بيت الجد حيث كان يسكن والدهم حازم وعمهم أيضًا في نفس بيت العائلة.

كان حازم شابًا رافضًا للزواج إلا أنه وبعد إقناع متواصل من العائلة رضخ حازم أخيرًا للزواج بابنة عمته هناء فهو يعرف أخلاقها جيدًا كما أنها رقيقة الملامح بالإضافة إلى أنها تهيم به وتتمنى الزواج منه كان الفارق بينهم حوالي خمسة عشر عامًا، حين تزوج حازم كان قد تخطى الثانية والثلاثين من العمر..

هناء زوجته كأي ربة بيت مصرية لحياتها روتين لا يتغير مهما مر عليها الزمن فهي تستيقظ صباحًا لترتيب البيت وتنظيفه ومن ثم تعد الطعام وفي أخر النهار تجلس مع الجيران يتسامرون ويتبادلون أخبار عائلتهم وعادة ما تغلب أصوات الضحك والسعادة على أصواتهم وكأنهم لا يحملون أي هموم في حياتهم... فهي متوسطة الطول، بيضاء، ذات شعر بني طويل وعينين عسليتين.. ومن ضمن الكثير من السيدات المعتقدات أن وزنهن يزداد كلما شربن الماء أو استنشقن الهواء.

أما فريدة تشبه جدتها، عيناها مرسومة سوداء مثل ملكات الفراعنة، وشعرها أسود داكن كالليل يصل إلى أخر ظهرها، متوسطة الطول، وجهها أبيض كالحليب النقي ذات شفتين كالفراولة ووجنتين تحمر خجلاً لأبسط الكلمات..

ابنهم الأصغر يدعى فريد، أصغر من أخته بثلاث سنوات، وملامحه أقرب إلى والده عن والدته.

كانت فريدة تذهب مع بنات عمها يوميًا إلى المدرسة وبعد الانتهاء من الواجبات المدرسية يلعبن ويلهين سويًا.

عندما كانت في الصف الأول الابتدائي، في البداية كانت تحتاج من يساعدها في حل المسائل الحسابية، وكان والدها يحاول مساعدتها إلا أنه كان يهيج ويميج لأبسط الأسباب وأتفهها، إن لم تستوعب ما قاله، كان يشعر بعدم قدرته على إيصالها المعلومة بطريقة سهلة، كما كان متوقعًا منها أن تفهم ما يقوله من أول مرة ربما بإشارة من يديه أو بنظرة من عينيه.. ولأنه كان يصل إلى حالة عالية من العصبية فقد تنحى تمامًا عن مساعدتها بالرغم من عمله كمحاسب بنكي إلا أنه ترك الأمر لها ولوالدتها هناء.

مرت الأيام والسنين بسرعة البرق قضتها فريدة كأي طفلة صغيرة في مثل عُمرها مُحبة للحياة.

وعندما أصبحت فريدة ذات ثلاثة عشر عامًا..

كانت تشعر بل تعلم علم اليقين أن والدها دون أن يفصح بالكلمات كان يرى أنه يستحق الأفضل من هذه الزوجة التي لم ترفض له طلبًا على الإطلاق، كان يشعر بأن التواصل مع زوجته صعب وليس على ما يرام.. فهو يحتاج من يفهمه ويحتويه، من يربت على كتفيه، كما أنه لم يهتم يومًا باحتياجات زوجته النفسية.

كبرت فريدة وأدركت أن والدها وضع أفكاره داخله وأغلق عليها مكتفيًا بالشعور بالوحدة.. فهل يا تُرى فكر ولو لمرة أن يخرج خارج محيط نفسه وأفكاره ناظرًا إلى زوجته بعين المُحب وليس بعين الاتهام بالتقصير متخليًا عن دوره كالقاضي الذي يتصيد الأخطاء لزوجته لمحاكمتها وإدانتها.

obeikan.com

فريدة

كان الجميع يلعبون وأصوات الضحكات تملأ المكان وجاءها صوت يتخلله نبرات من الحنان وهي تشاهد التلفاز في حجرة المعيشة في بيت جدها.. فهي لم تلاحظ دخوله!

إذ رآها كم تبدو جميلة تحت أشعة الشمس المخترقة للغرفة..

قائلاً: فريدة، لماذا تجلسين وحيدة؟!

وقبل أن تجيب تجمد الدم في عروقها حين نظر إليها نظرة لم تفهمها وأصابع يديه تحتضن وجهها، قامت مسرعة إلى الخارج، فهي تشعر باهتمامه.. ولكن..

إنه وجدي ابن عمها الذي يكبرها بثلاثة عشر عامًا.. شاب طويل نحيل، ذو شعر خفيف أقرب إلى الصلع وعينين واسعتين سوداء وأنف معقوف.

فهو يراها حبيبته فقد ولدت على يديه، حملها بين ذراعيه وهي مازالت طفلة رضيعة، كبرت أمام عينيه ولن يسمح لأحد قط أن يأخذها منه.

في كل صباح كان الفطار الذي تعده أم وجدي، له رائحة شهية تملأ المكان.. كانت رائحته مميزة بالنسبة لفريدة وهي تقرع

obeikan.com

الباب على بنات عمها للذهاب إلى المدرسة وذات يوم أثنت فريدة على امرأة عمها التي اعتادت مناداتها خالتي:

من الواضح يا خالتي أنك تهتمين كثيرًا بوجدي، قالت مبتسمة ابتسامة خجولة، يا له من محظوظ!

أجابت: نعم حبيبتي فهو أكبر أولادي وله نصيب كبير في قلبي، حينما تنبهت إلى ابنتها وهي ناظرة إليها متوجسة.. من كلامها، أضافت وأخواته أيضًا، فكانت أخواته البنات دائمًا ما يصابون بالإحباط حين يشعرون بالتمييز بينهم وبين أخيهم الكبير؛ ولذلك كانت أخته دائمًا في حالة من الغيظ المكتوم بالرغم أن وجدي كان محبًا وحنونًا عليها أكثر من والده ذاته.

وعندما ابتسمت فريدة مادحة رائحة الشعرية باللبن، نظر وجدي إليها متأملاً إياها، محاولاً ملء عينيه منها، كانت هذه النظرة هي التي تحاول فيها احتضان من تحبه بعينيك، وإذ به قام حاملاً طبقه معه مادًا يديه، تذوقيه يا فريدة قال ساخرًا ربما كانت رائحته أطيب من مذاقه..

شعرت بالخجل واحمر وجهها، ترددت لثوانٍ معدودة وما منها إلا أن فتحت فاها متذوقة إياه.

يا له من مذاق طيب!

ارتفع صوتها قليلاً، تسلم إيديكِ يا خالتي.

ثم انخفض صوتها مرة أخرى ناظرة إليه، بألف هنا لك يا وجدي.

وبعد مرور سنة تقريبًا اشترى والدها شقة جديدة، إيجار قديم بستين جنيه شهريًا، ربما ترك شقته التمليك في بيت والده وفضل شقة إيجار؛ لأنها تقع في منطقة أرقى ومساحتها أكبر وقد انتقلوا ليعيشوا فيها، فكان يومًا حزينًا على كل العائلة وخصوصًا وجدي.

وقف وجدي في شرفة حجرته وقد اتخذت سيارتهم طريقها إلى بيتهم الجديد وهو يقاوم دموعه حتى لا يلاحظه أحد، إلا أنها فاضت رغمًا عنه، كان فراقها شيئًا صعب الاعتياد عليه.

أما أسرة حازم فكانت في غاية السعادة لتطلعهم إلى مستقبل جديد وجذاب، يتعرفون فيه على جيران وأصدقاء جدد.

أخذ حازم حقيبته المصنوعة من الجلد ذات اللون الأسود الخاصة به، كانت بداخلها صندوق خشبي صغير مُطعم بالنحاس الدقيق مغلق بقفل ومفتاح، كان دائمًا معه محتفظًا به في ميدالية مفاتيحه المعلقة في بنطلونه، بالرغم أن زوجته تعلم أنه يحتفظ بها دائمًا فوق الدولاب إلا أنها كانت بالنسبة لها لغزًا، فهي لم

تجرؤ أن تفتحها وتعرف ما بها، رغم تفكيرها المستمر في ماذا يا تُرى تحوي هذه الحقيبة؟! ولماذا ممنوع الاقتراب منها أو لمسها وكأنها شيء محظور؟! إلا أنها فكرت لربما كانت أموالاً يدخرها للزمن، إلا أنها كانت في الواقع حياته، التي قد توقف عندها الزمن..

وبعد أن رتبت المنزل الجديد لهم وجعلته على أجمل وجه، مسكت هناء المطرقة بيدها اليمنى ومسمار بيدها اليسرى، محاولة تثبيت المسمار في قلب الحائط؛ لتقوم بتعليق الصورة التي استلمتها للتو من محل الزجاج، الذي قام بتركيب البرواز الذي اختارته هي بعناية حتى يتناسب مع الصورة، فقد وجدتها بكل المقاييس جميلة، فهي تجمع كل أفراد أسرتها التي تعتز بهم جميعًا.

وعندما قامت بتعليقها وتأكدت أنها تم تثبيتها بشكل جيد، وقفت أمام الصورة متأملة إياها.. كانت تضم أسرتها وهم يقضون الصيف على شاطئ أبي قير بالإسكندرية.

فهُم يقضون أسبوعًا كل سنة هناك إذ يقومون بتأجير شقة في إحدى المباني المطلة على البحر مباشرة، وهذه الصور قد التقطها لهم عم أحمد المصوراتي، كانوا يقابلونه في نفس الوقت

من كل عام ويقوم بتصويرهم بكاميرته السوداء ماركة كانون صور تذكارية مقابل جنيه واحد لكل صورة، يسلمها لهم في اليوم التالي للتصوير.

كانت الصورة تضم فريدة التي ظهرت في الصورة مبتسمة بابتسامتها المعهودة، وديعة مثل حمامة صغيرة حُرة مُقبلة على الحياة، ترتدي بيجامة باللون الوردي قد فصلتها لها والدتها منقوشة بالورد الصغير وبها كُلفة نصف دائرية مكشكشة من على الصدر وأزرار أمامية صغيرة بنفس لون البيجامة في المنتصف، أما فريد وهو الأخ الأصغر كان يضحك وفمه يكاد يخلو من الأسنان باستثناء نبتتين صغيرتين في الفك السفلي، كانت ملامحه نقية وابتسامته ملائكية.

حازم الوالد يظهر في الصورة مرتديًا بنطلونًا أسود وقميصًا أبيض وكأنه في زيارة رسمية للبحر، قام بإغلاق أزرار قميصه حتى أخر زرار حول رقبته ويُشعرك للوهلة الأولى أنه في شهر ديسمبر وليست خلفية الصورة مشهدًا للبحر الرائع في يوم مشمس لطيف، إلا أن ما يثير الدهشة في هذه الصورة أنه يرتدي شبشبًا ذا سيور أربعة متقاطعة ربما كان هذا لدواعي الرمل والحفاظ على جلد الحذاء من الشاطئ وما يحمله.

يدعى حازم وهو بالفعل حازم الطبع يسعى للمثالية دائمًا.. فهو موظف في إحدى البنوك المصرية الكبرى، حازم طويل، أصلع، ذو أنف دقيق، يرتدي نظارة لحفظ النظر، لا يحتاج إليها إلا أنه يخفي نفسه وراءها كما أنها في وجهة نظره يراها شياكة ووجاهة كأنها رمز للشخص المُثقف بالإضافة إلى نقاط ضعفه التي كان يعمل بجهد كبير لإخفائها.

وبجانبه هناء وهي بنت عمته في الأصل قبل الزواج ناظرة إلى الكاميرا بثبات واضعة يدها اليسرى على كتف فريدة واليمنى حاملة بها فريد، كانت ترتدي بلوزة طويلة تصل إلى الركبة مشجرة بها كل ألوان الطيف وجيبة أطول سوداء تصل إلى كعبها، مرتدية شبشبًا أزرق به وردة متفتحة في الوسط تغطي صوابع قدميها. ووجهها مبتسم نصف ابتسامة وهي تنظر إلى الكاميرا غير مُظهرة أسنانها.

فكلاً منهما كان متيقنًا أنه لن يستطيع أن يأخذ من الدنيا كل ما يريد أو يشتهي، فكل إنسان يعيش في هذه الحياة يوجد بداخله حلم أو أمنية غير مكتملة التحقيق، رغم كل ما استطاع أن يقوم به في حياته، فربما كان هذا النقص هو سر الوجود والتطلع إلى الحصول عليه في المستقبل.

●●●

ألم وأمل

كانت تشتاق فريدة إلى بيتها التي نشأت وتربت فيه وإلى كل عائلتها هناك، فكانت أول جمعة من كل شهر زيارة إلى بيت الجد والجدة.

وجدي.. ألم تنوِ الزواج يا بني؟

قال مبتسمًا: بالطبع يا أمي.

قالت مداعبة: يا تُرى من هي سعيدة الحظ؟!

نظر إليها والابتسامة لم تفارق شفتيه وعينين ضاحكتين..

نعم يا أمي إنها فريدة..

تنهدت تنهيدة عميقة وكأنها تتوقع إجابته.. ولكن ألا ترى أنها مازالت صغيرة!!

نعم يا أمي وأنا في انتظارها مهما طالت الأيام.

أجابت.. ربنا يوفقك لما فيه الصالح يا ولدي.

كانت والدته تعلم يقينًا بمدى تعلقه بها وبقدر حبها هي لفريدة إلا أنها كانت متأكدة أن هذه الزيجة لن تتم.

obeikan.com

ابنها ترك تعليمه قبل أن يحصل على أي شهادة فتعليمه تحت المتوسط، أما هي متفوقة دراسيًا..

فوجدي يعمل مع والده وجده، يمتلكون عدة عربات نقل إذ يقومون بنقل الرمل والزلط من المحاجر إلى المقاولين والمهندسين المعماريين..

لكنها لن تستطيع مواجهة ابنها حتى لا تهدم أحلامه وتكسر قلبه فكانت تقول داخلها لربما تكون مخطئة.

سعدت أسرة فريدة في سكنها الجديد.

ـــ جيرانهم ذهبوا لزيارتهم في الأسبوع الأول مرحبين بهم ومهنئين ومعهم بعض الأطباق الشهية مما لذ وطاب منها الحلويات والأطباق المطبوخة في المنزل كما هو الحال مع معظم الأسر المصرية الودودة.

كما كانوا يتبادلون الأطباق المختلفة في المناسبات السعيدة والحزينة أيضًا وكان الطبق لا يُرد فارغًا إنما بعد عدة أيام يرد بنوع أخر من المأكولات أو الحلويات اللذيذة.

أصبحت أسرة فريدة تودهم بالمقابل، وتقربت منهم أسرة كانت تسكن بالجوار فكانوا يزورون بعض بانتظام وكانت فريدة تحب الذهاب إليهم لتجلس مع أميرة ودينا أما ملك أختهم

الثالثة فكانت لا تتعدة الأربع سنوات، فكن يجلسن الثلاث بنات يوميًا في منزل مدحت وسامية والد ووالدة أميرة ودينا إذ أنهم كانوا بنات فقط مما جعل والدي فريدة مطمئنين على ابنتهم هناك.

مدحت رجل قصير القامة، له رأس كبير يخلو تمامًا من الشعر مثل بلاطة لامعة مصقولة بمهارة، ذو كرش كبير وعيون سوداء اللون وبشرة سمراء وأنف كبير يشبه إلى حد كبير أنف زوجته سامية، فهي أقصر منه وجسدها ممتلئ.

وعادة ما يجتمعن البنات في أوقات الفراغ فيقضون وقتهم في حل الفوازير وتبادل النُكات.

وبعد مرور عدة أشهر كان مدحت يزيد اهتمامه وتزيد رغبته في فريدة، كان يتقرب إليها ربما على سبيل الصداقة فكان يتودد إليها بكلمات معسولة.

وإذ أنها حانت الفرصة المناسبة في وجهة نظره فقال:

فريدة عزيزتي..

أريدك أن تعلمي أني أحبك كإحدى بناتي جالسًا بجانبها واضعًا يده على كتفها محاولاً احتضانها مقبلاً جبينها.

كانت فريدة تعتقد بالفعل أنه يحبها كابنة له فلم تفكر كثيرًا في الأمر، وفي أحد الأيام ذهبت فريدة كعادتها إلا أنه كان يومًا مختلفًا فقد كان عيد ميلاد دينا، ذهبت إليهم منذ الصباح لتساعد صديقاتها وكانت والدتهم في عملها، تشاركوا في تزيين المنزل ونفخ البالونات بكل ألوانها.

كانت معهم يد بيد ورتبت معهم غرف المنزل على سبيل المساعدة والصداقة والجيرة التي بينهم وحين انتهوا من كل الترتيبات اللازمة.

انتهز مدحت فرصة وجوده بمفرده معها بعد أن ذهبت أميرة ودينا ليُحضرا الكوتشينة والدومينو من الغرفة المجاورة، وطلب منهن أن يقمن بعدة أشياء أخرى.

كانت فريدة واقفة في غرفة السفرة منتظرة إياهن ليلعبن سويًا على منضدة السفرة.

اقترب مدحت منها ملصقًا جسده الممتلئ بها كما كانت هي من حركته هذه قد التصقت بالحائط الموجود خلفها، هامسًا في أذنيها كم أنتِ جميلة، وأنفاسه الساخنة تحرق رقبتها، حاول تقبيلها على شفتيها، متلمسًا جسدها، متحسسًا صدرها من فوق ملابسها.

تجمدت فريدة في مكانها من هول الصدمة، حبست أنفاسها داخلها كان جسدها مشلولاً بالكامل.

ولم تُظهر أي رد فعل سوى أنها أبعدته عنها بزجة بسيطة، بلعت ريقها بصعوبة بالغة وذهبت تجر قدميها، فتحت باب المنزل كان ثقيلاً كثقل الدقائق السابقة.

نادت أميرة..

فريدة.. فريدة.

إلى أين أنتِ ذاهبة لقد أحضرنا الكوتشينة والدومينو!! أما فريدة لم تجب..

نظرت إليهما وهي لا ترى أو تسمع شيئًا.

ذهبت فريدة إلى بيتها، جلست على سريرها.. لا تريد التفكير فيما حدث ولكن لا تشعر بشيء سوى دموعها التي تتسابق في السقوط من عينيها.

سمعت طرق باب خفيف على باب غرفتها..

أجابت من؟ محاولة إخفاء ومسح دموعها من على وجهها..

دخلت هناء متسائلة:

ماذا حدث؟ هل حدثت مشكلة ما بينك وبين أصحابك؟

إلا أنها أجابت: لم يحدث شيء أنا فقط مرهقة وأحتاج إلى النوم.

خرجت والدتها من الغرفة متمنية لها أحلامًا سعيدة، ولا تعرف أن الواقع هو من يحتاج إلى السعادة أكثر من الأحلام.

فقد كان أسوأ يوم مرت به فريدة منذ ولادتها..

فكرت فريدة أن تحكي لوالدتها عما حدث ولكنها خافت.

كانت تعلم أن والدتها سوف تبلغ والدها حازم ولن يكون رد فعله طيبًا، كما قلقت من معرفة صديقاتها بالأمر ففضلت فريدة الصمت.

فقد قررت أن تنسى ما حدث وكأنها ستضغط على زر المسح فتمسح من حياتها هذا اليوم.. وإذ غلبها النوم..

فرأت نفسها تمسك بمسدس في يديها موجهة إياه صوب رأس مدحت ولكنه نظر إليها ساخرًا وما بها إلا أن تملكها الخوف وحين اقترب منها حاولت الهروب بأن تجري بعيدًا عنه بكل ما أوتيت به من قوة حتى انقطعت أنفاسها وهي تلهث خوفًا وتعبًا حتى سقطت أرضًا.

وعندما استيقظت تمنت أن تقتله بدل المرة مائة مرة.. استمرت فريدة تستيقظ من النوم لتعود إلى النوم مرة أخرى لم تفعل شيئًا أخر سوى النوم لفترة لا تقل عن أسبوع تقريبًا.

كان مدحت زائرًا دائمًا، غير مرغوب فيه لأحلامها لفترة ليست بقليلة.

وظل ما حدث دفينًا بداخلها لا يعلمه أحد سواها ومدحت.

مرت الأيام على فريدة وهي تشعر أنها مُهانة في نظر نفسها فكيف لم تحاول أن تصفعه على وجهه؟ وكيف لم تدافع عن نفسها كما يجب؟ كيف كانت بهذا الضعف والخوف والجُبن؟!! وكان من الطبيعي أن يختفي مدحت عن الأنظار، وعن زيارة أسرتها.

ابتعدت فريدة عن أميرة ودينا.. فإن أتوا إليها جلست معهم وإن لم يأتوا لا تذهب هي... لقد حاولت مرارًا وتكرارًا أن تمنع نفسها من أن تكره هذه الأسرة بمجملها إلا أنها كانت تخفق في كل مرة.

مرت الأيام وفريدة مهتمة بدراستها والجلوس مع أخيها فريد مما جعلهم مقربين من بعضهم البعض، كانت فريدة تميل إلى آرائه وأفكاره رغم أنه كان أصغر سنًا لكنه كان متفوقًا آنذاك عنها دراسيًا، وبعد مرور سنتين..

وفي إحدى أيام الجُمع وهم يقضون اليوم مع العائلة في بيت الجد، جلست والدة وجدي مع فريدة..

فريدة حبيبتي أريد أن أحدثك في موضوع ما..

واسترسلت قائلة:

لا أعرف كيف أبدأ الموضوع ولكني أريد أن أُحدثك بخصوص وجدي، هو مشغول بك بدرجة كبيرة ويريد الارتباط بك.

بدا على فريدة الارتباك والخجل..

تنحنحت قليلاً ثم قالت:

إني مازلت في المرحلة الثانوية ولم أفكر في الزواج..

حبيبتي أنت تعلمين أنه بإمكانك أن تُكملي تعليمك في بيتك، مع وجدي.. أريد فقط أن يطمئن قلبي.. هل تميلين إليه أم لا؟! حتى لا ينتظر طويلاً ثم يُجرح، أكملت كلامها مُستعطفة إياها:

يا فريدة إن جروح القلب من أصعب أنواع الجروح والأوجاع التي ليس لها دواء، ولا أريده أن يتألم يومًا ما بسبب هذا النوع من الجروح.

أجابت فريدة مرتبكة: أنا لا أعرف ولا أشعر بشيء محدد تجاه وجدي سوى أنه ابن عمي.

obeikan.com

صمتت والدة وجدي لبرهة ثم استطردت: على أي حال فلتفكري في الموضوع ولتأخذيه على محمل الجد ولتشاركي والدتك وأسرتك وأنا بالطبع سأتكلم مع هناء.

وعندما تحدثت مع والدة فريدة..

أُشرق وجهها بالسعادة وأبدت والدتها ترحيبًا كبيرًا وارتياحًا أكبر بوجدي كعريس لابنتها.. إذ قالت وهي مبتسمة وأومأت بوجهها علامة الموافقة.

وجدي شاب على خُلق وتتمناه العديد من الفتيات وأنا موافقة بالطبع ولكني سأعرض الأمر على والدها أولاً وسأعطيكِ الرد النهائي قريبًا لنفرح جميعًا..

وما من والدة وجدي إلا أنها نشرت الخبر، خبر الموافقة لكل أفراد العائلة، كان قلب وجدي يرقص ويغني.. وكأن الكون كله يضحك معه وله! تدغدغت مشاعره من السعادة التي وصلت إلى أطراف أصابعه، ظل طوال اليوم مبتسمًا غير قادر على غلق فمه ومنع شفتيه من الابتسام..

وفي عصر اليوم التالي كان الشتاء يعلن قدومه حيث غرقت الشوارع في سيل من المطر.. المطر الذي كان رمزًا للخير في الماضي، أصبح يعتبره بعض المصريين غضبًا من السماء على

obeikan.com

ذنوبهم لما تسببه من خسائر فادحة وصلت إلى حد الخسائر البشرية، فكانت قرى بأكملها تغرق في شبر من الماء، ولم تكن الأمطار سببًا كافيًا تجعله يتراجع عن زيارة فريدة في بيت عمه..

كان وجدي مُرتديًا أفضل ما لديه من ملابس وهو قميص كحلي كاروهات صغيرة وبنطلون جبردين زيتي سادة وحذاء أسود مثل الحزام إلا أن الحذاء أصبح مُعبأ بالطين نتيجة الوحل الموجود بالشوارع من آثار المطر.. فالملابس قد اشتراها الأسبوع الماضي لحضور حفل زفاف أحد أصحابه، وهو في طريقه اشترى علبة حلويات شرقية.. فهو عريسها ولا يصح أن يذهب إليها فارغ اليد.. وكان من الواضح أنه قضى وقتًا ليس بقليل عند الحلاق حيث يوجد بوجهه بعض الجروح الخفيفة من آثار الحلاقة وهو المنظر الذي كانت تشمئز منه فريدة..

عندما ذهب إلى بيت عمه كانت فريدة مازالت في المدرسة وعند عودتها تعجبت لوجوده، فهي لم تجب والدته بشيء حتى أنها لم تفكر في الموضوع من الأساس، فلماذا إذن هو هنا؟ هل جد جديد؟!!

بعد أن حيته ذهبت إلى غرفتها حتى تغسل وجهها وقدميها ولتغيير ملابسها الرطبة بسبب الطقس وارتدت بيجامة عادية

زهرية اللون من ملابسها إلا أن وجدي كان يراها جذابة لأبعد الحدود.

وبعد أن شربوا الشاي وقدمت هناء الحلوى التي اشتراها أثناء قدومه إليهم، طلب من فريدة أن يتحدث معها على انفراد فجلسوا سويًا في غرفة الصالون المُعدة للضيوف إلا أن فريدة لم تغلق الباب وقصدت أن يكون مفتوحًا على مصراعيه.

وبعد صمت دام للحظات تكلم قائلاً ناظرًا إلى عمق عينيها: فريدة جئت لرؤياكِ فقد كنت مشتاقًا إليكِ، كانت عيني وجدي متألقة فوق العادة..

نظرت فريدة مبتسمة شعرت بالخجل فتدافع الدم في جسدها وجعل وجهها أكثر حُمرة وسخونة.

وقالت: وجدي نحن عشنا سويًا زمانًا طويلاً، أنا لا أراك سوى أنك أخي!

فريدة.. لو كنتِ تعلمين بمكانتك عندي لما قلتِ مثل هذا الحديث.

وجدي أنا لا أعرف عنك وعن حياتك الشخصية شيئًا وأنت كذلك بالمقابل.

أنا لا أعرف ماذا تقصدين بالضبط؟ ولكن إن كنتِ تقصدين هل أحببت قبل ذلك أم لا؟!

وقبل أن ترد فريدة استرسل وجدي في كلامه:

أنا لم أحب قط في حياتي بل عشقتك أنتِ!! أنتِ التي نمت واستيقظت وأنا أحلم بها..

ولكن دعيني أكون أمينًا معكِ إلى النهاية قال وهو ناظر إلى أرضية الغرفة..

هو خطأ واحد وقعت فيه في حياتي كلها..

شعرت فريدة وكأنه قام بتجهيز كلماته قبل أن يأتي وقام بحفظها مرارًا وتكرارًا.. ومع ذلك قد تلعثمت كلماته.

استرسل وجدي مكملاً:

لقد تعرفت على مجموعة من الأصحاب منذ عدة شهور وسهرت معهم ذات ليلة ويا ليتني لم أفعل لقد شربت كثيرًا وقضيت ليلتي مع امرأة مقابل عدة جنيهات.

ولكني أقسم بالله أن بعد هذه الليلة شعرت بالاستياء من نفسي.. ومما فعلت.. فقد كنت واهبًا نفسي لكِ.. لكِ وحدكِ، وأعدك أن هذا لن ولم يحدث أبدًا، يكفيني وجودك في حياتي.

obeikan.com

بهتت فريدة وهي تفكر في نفسها، كيف له أن يحكي كل هذا وأنا لم أعده بشيء؟!

لم تستطع فريدة أن تنظر إليه خجلاً، لكنها شعرت بمدى نقائه وطيبته بالرغم مما حدثها عنه.

صمتت فريدة لبرهة مبللة شفتيها السفلى:

لا أعرف ما هي الكلمات المناسبة في مثل هذه المواقف لكنك إنسان طيب القلب يا وجدي..

دعنا نطلب وندعي من الله أن يرشدنا لما فيه الصالح لك ولي..

بعد ذهاب وجدي من عندهم، سألتها والدتها:

ما هي الأخبار؟ وعلى ماذا تنوين؟

أجابت فريدة: لا أعلم يا أمي..

دخلت فريدة غرفتها وفي داخلها ألف سؤال وسؤال..

هل الله هو من يختار لنا من نتزوج؟؟

هل يوجد فعلاً قسمة ونصيب؟؟

هل نعيش مُخيرين أم مُجبرين؟؟

obeikan.com

نولد لنجد أخواتنا ووالدينا فنحن لم نخترهم ولكن هل الزواج بنفس هذا المفهوم؟؟

كانت تتدافع الأسئلة بداخلها كالأمواج العالية!!

ولكن هل من مجيب لهذه الأسئلة؟

وفي المساء، وهي جالسة متفكرة فيما يدور بداخلها، سمعت صوت صياح وشجار.. أنه والدها ووالدتها!!!

كان يصرخ قائلاً: وكيف لكِ أن تردي بموافقتك قبل أن تعرضي الموضوع عليَّ وأوافق أنا عليه أولاً!!

إنه ليس بالشخص المناسب.. فليس هو ما أتمناه لابنتي.. نحن نتقدم أم نتأخر؟؟

فقد كانت زوجته شبه متأكدة أنه لن يعارض لعدة أسباب منها أنه ابن أخيه ويعرفون أصله وفصله وأنهم سيأتمنونه على ابنتهم بالإضافة أنه تربية أيديهم أيضًا، فكانت تعامله كابنها كما أنه يذوب حبًا في ابنتهم.

وفي هول ذهولها لم تعد تسمع صراخه وكلماته، أصبح صوته مثل راديو فقد الإرسال، لا تسمع سوى الوَش في أذنيها، لا تفهم شيئًا، فهي رغم السنين التي مرت عليهم وهم يعيشون في

بيت واحد إلا أنها كلما اعتقدت أنها تفهمه، تأتي المواقف التي تثبت لها العكس تمامًا وأن زوجها مازال كتابًا مغلقًا لم تستطع فتح طلاسمه وقراءته.

استطرد صياحه وصراخه قائلاً:

أنا أريد من يرفعها وليس من ينزل بها.. كما أنها مازالت صغيرة.

كان حازم هو الوحيد المهتم بالتعليم في العائلة إذ إن أخاه الأكبر والد وجدي لم يدخل المدرسة وقد عمل مع والده في صغره وقد تزوج بنت خالتهم مُنى ولم تكمل تعليمها حيث إنها تزوجت وهي في الصف الأول الثانوي وكل ما حصلت عليه هو الشهادة الإعدادية، ها هو وجدى يعيد الزمن بخروجه من المدرسة والعمل مع والده والأخ الأوسط هو محفوظ وحاصل على دبلوم تجارة وقد نال الشهادة في الحرب، كان الحظ حليف حازم في أن يدخل المدرسة وأحب الدراسة ورفض العمل مع والده واختار طريقًا أخر له..

سمعت فريدة والدتها وهي تحاول تهدئته ولكنه كان يصيح بأعلى صوته..

لقد صنعتِ مشكلة بيني وبين أخي بدون داعٍ ولا سبب حقيقي.. أنتِ السبب فيما حدث!!

عرفت فريدة أن والدتها ردت بالموافقة على وجدي لأنها تراه على خُلق، دون الرجوع إلى والدها، الذى يراه ليس مناسبًا!!

أجابت هناء، فقط أخبرني ماذا تريدني أن أفعل؟؟

أجابها كما صنعتِ العقدة عليكِ بحلها، إذن أرسلي أحد شباب العائلة إلى وجدي في عمله ليخبره بأن فريدة غير موافقة..

أما فريدة.. كل ما فكرت فيه أن والدتها وافقت بالنيابة عنها ووالدها رفض باسمها وهي لم تفعل هذا أو ذاك.. حتى أنها لم يصبها أي شعور بالاستياء من والديها؛ لأنها دائمًا كانت ترى أنهم أكبر وذو خبرة عنها ويريدون مصلحتها، كما أنها لم تحمل أي مشاعر تجاهه لتعلن رأيها، بل كل ما شعرت به خليطًا من العطف والشفقة على هذا الطائر المجروح الذي ينزف وهي لها دور في ذلك إذا كان من قريب أو بعيد..

وبالفعل أرسلت والدة فريدة قريبًا لهم من الشباب عند غروب اليوم التالي إلى حيث يعمل وجدي قائلاً:

عائلة عمك تعتذر منك أن فريدة غير موافقة.

مستأذنًا منه.. تاركًا إياه..

لقد أخذ وجدي لطمة ثقيلة مُوجعة على وجهه، وإذ دارت الدنيا بـ وجدي وهو جالس مكانه على كرسيه، العالم قد تضافر ليستهزئ ويسخر منه..

سأل نفسه مستنكرًا، هل حدث خطأ ما؟ لم يحدث شيء.. هل ما حدثتها عنه جعلها تفكر أني إنسان على غير خُلق فرفضت؟! هذا مستحيل!!

لم يعد وجدي إلى بيته بل ظل هائمًا.. يجوب الشوارع.. ناظرًا إلى خلق الله.. يتخيل وجهها بينهم، أراد لو رآها ليحدثها؛ ليعاتبها، كيف تفعل به كل هذا؟ هذا لأنه أحبها من عمق قلبه.

كانت عيناه حمراوين كبركان انفجر لتوه..

أُمتهن وجدي في كرامته.. وأصبحت فريدة من مصدر لبهجته إلى مصدر بؤسه..

كان حبه لها راسخًا في قلبه، مثل شجرة جذورها راسخة في الأرض، وأغصانها شامخة إلى عنان السماء وعندما انهارت أحلامه بالزواج منها، انحنى ليلم أحلامه.. فانكسر!!

اتصل من أقرب كابينة تليفون موجودة في الشارع بصديقه سامح:

أهلاً أهلاً بصديقنا المحترم وجدي..

سامح هل أنت مشغول؟ أردت أن أتحدث معك.

أجاب سامح، يا لك من محظوظ، سهرانين اليوم ثم ضحك ساخرًا أو كالعادة يا صديقي.

تعالى نحن في انتظارك.

قال بصوت بائس ووجه مكتئب: أنا في طريقي إليكم.. ذهب إليهم.

كان سامح يسكن بمفرده، إذ أن والديه يعيشان في سوهاج، جنوب مصر وبعد أن أتم سامح دراسته وحصل علي الدبلوم اتجه إلى القاهرة ليعمل مع زوج خالته في المقاولات، وبعد الانتهاء من العمل كان عادة ما يدعو أصدقاءه ليسهروا سويًا، يتجمعون في شقته ولا مانع من إحضار فتيات يسهرن معهن فتصبح ليلة دسمة تُشبع جوعهم، وأن الليلة كانت خفيفة وغير دسمة فلا مانع من مشاهدة أفلام تشبع رغباتهم المكبوتة.

ذهب إليهم وجدي وفعل كل ما كان يمقته، سهر وشرب وسكر حتى أنه جاء بكل ما في معدته..

كما أنه مضى ليلته مع نفس ذات المرأة.. أراد أن يكسر هو بعهده لفريدة كما كسرت هي بقلبه..

كان مختلفًا وغريبًا هذه المرة.. وكأنه أراد أن ينتقم منها ومن كل من تحمل تاء التأنيث.. كانت رائحته كريهة مزيج من العرق والجوع والأحلام المحتضرة.. عاملها بوحشية لربما كانت هي سبب رفض حبيبته له، نعتها بأسوأ الألفاظ، ضربها على جسدها بقسوة حتى صرخت في وجهه:

وإن دفعت لي أضعافًا لن تضاجعني مرة أخرى.. بصق على وجهها.. لطالما احتقرها كما احتقر نفسه أيضًا.

خرج سامح مع وجدي ليتنفسوا الهواء خارج المكان.. وليخرجه قليلاً مما هو فيه وليسأله ماذا به وما هو الشيء الذي حدث له وصل به إلى هذه الحالة المزرية؟؟

قص كل معاناته وعيناه مليئتان بالدموع، كان وجدي في أوج لحظات ضعفه وكيف بعد أن رفعته إلى سابع سماء ألقت به من فوق بلا رحمة أو شفقة.. فهل ستجد من يحبها أو يخاف عليها أكثر منه؟؟

زم سامح شفتيه، متأثرًا بكلماته، مقطبًا جبينه.. أراد تهدئته بقدر الإمكان قائلاً: تماسك وجدي واهدأ إن التماسك من صفات الرجال.. لكنه بعد أن فشل في كل مساعيه.. قال له وجدتها!! مطقطقًا صوابع يديه وهو يقول: داوها بالتي كانت هي الداء..

تزوج غيرها.. الزواج هو من يجعلك تنساها وتنسى من هي أفضل منها..

صمت وجدي بينما عض على شفته السفلى يحاول الاقتناع.. وكأنه يريد شيئًا جديدًا يلهه عما حدث.. استرسل سامح قائلاً:

وجدي، ما رأيك لديَّ عروسة لك، بنت خالتي، على خُلق ومن عائلة كريمة، قال مبتسمًا غامزًا بعينيه، بالإضافة أن زوج خالتي اشترى لها شقة باسمها كما اشترى لابنه أيضًا في إحدى العمارات الجديدة في حي شبرا.. وهذا يعني أنها لن تكلفك الكثير..

تساءل وجدي بصوت مخنوق: ولماذا لا تفكر أنت بها؟؟

أجاب: إنها أكبر مني بسنة لكنها بالتأكيد أصغر منك... قال مُضيفًا كما أنها مثل أخت لي..

فكر ولن تخسر شيئًا..

في الواقع أراد سامح أن يرد لخالته وزوجها شيئًا مما فعلوه معه، كما أراد أن يُفرحهم وبذلك يكون فعل خير للطرفين وهو توفيق رأسين في الحلال.

تركه وجدي وأراد أن يصل إلى بيته ماشيًا على الأقدام، وصل على كورنيش النيل في شبرا.. ورغم برودة الطقس إلا أن الهواء الشديد ظل يرسم صورتها أمامه والجُرح ينزف لا محالة.

أما عائلة وجدي قد أخذت موقفًا عدائيًا مؤقتًا من عائلة فريدة بسبب ما حدث وكان بالتأكيد من المتوقع أن يحدث هذا، وأن ما جعلهم أكثر تقبلاً للأمر أن وجدي كان بالفعل قد فكر في الزواج.

ألو.. سامح كيف حالك؟

أهلاً أهلاً وجدي، أنا بخير؟؟ وأنت؟

أنا أفضل حالاً، أريد أن أرى بنت خالتك، بالمناسبة ما اسمها؟

اسمها حنان، ما رأيك أن نذهب سويًا إلى بيت خالتي لتراها إن استرحت لها وهي كذلك فلنحدد معهم ميعادًا ثانيًا للتعارف أكثر وإن لم يحدث، فإن الزواج قسمة ونصيب..

دعني أكلمهم ونحدد ميعادًا معهم..

ليكن كذلك أنا في انتظارك.

وبعد أقل من ساعة اتصل به سامح ليخبره بالميعاد المحدد وهو الغد في السابعة مساءً..

●●●

obeikan.com

حنان ووجدي١

قضى وجدي ليلته وهو ناظر إلى سقف غرفته سارحًا في لا شيء.

لا يفكر أو يتذكر شيئًا معينًا وكأن مشاعره وعقله خارج نطاق الخدمة.

وفي اليوم التالي.. وقبل ميعاده بثلاث ساعات.. قام بتجهيز نفسه حيث ذهب للحلاق، حلق ذقنه، وشعره، كما قام بعمل حمام كريم برائحة جوز الهند واستشوار.. وحين فكر في ارتداء ملابسه سحب من دولابه أجدد ملابسه ولكنه حين أخرجهم من دولابه جاءه خاطر مرَّ بعقله أن هذه الملابس فأل سيئ فقد زار بهم فريدة وأنها ستجلب الحظ السيئ له.

فتركها على الفور ألقى بها على سريره واختار بنطلون جينز أزرق وتي شيرت بولو أبيض سادة..

وفي تمام السادسة والنصف كلمه سامح واتفقا أنهم سيتقابلون في أول شارع مسرة في حي شبرا حيث يسكنون هناك..

وعندما تقابلا: قال سامح مبتسمًا غامزًا بعينيه.. يا عريس، ما كل هذه الوسامة؟

obeikan.com

ابتسم وجدي ابتسامة خفيفة قائلاً:

سامح، هل أشتري لهم شيئًا حتى لا أدخل فارغًا؟

لا لا نحن فقط ذاهبون للتعارف ليس إلا..

هل أنت متأكد من ذلك؟

نعم بالتأكيد..

رن جرس الباب.. وكان الكل مستعدًا خلفه وفي انتظاره.

أما العروس حنان كانت داخل غرفتها، تشعر بمزيج من التوتر والسعادة.. أخيرًا يوجد من يقرع بابها للزواج منها، ولكنها تخاف من أن سعادتها لن تكتمل وأن الزيجة لن تتم؟؟

حين فتح أخوها الأصغر الباب جاؤا مرحبين به.. جلس وجدي على كرسيه مبتسمًا.. نظر حوله على استحياء، منزلهم متواضع والموبيليا ربما كانت في الماضي أفخم ولكن الآن هي قديمة مُتهالكة.. الأم بسيطة، ترتدي جلبابًا واسعًا أسود وشعرها مربوط بإيشارب أسود أيضًا.. أما الوالد يرتدي جلبابًا أبيض..

جاءت العروس ومعها صينية بها أكواب من عصير البرتقال الطازج وواضعة تركيزها كله في الصينية حتى لا تنقلب منها الأكواب..

وبعد أن وضعتها على المنضدة المقابلة.. مدت يديها لتسلم على سامح ووجدي.

فهي فتاة مقبولة الشكل تدعى حنان، سمراء، ملامحها أكثر من عادية، لا شيء مميز فيها.. حاصلة على مؤهل دبلوم تجارة وقد انتهت من تعليمها منذ سنوات عديدة في انتظار أن تذهب إلى بيت العَدَل.

وحين تأخرت في الزواج فكر والدها أن يشتري لها شقة بالأموال التي كانت سترثها عنه بعد وفاته وبالتالي تكون قد أخذت إرثها وساعدها في الزواج (عصفوران بحجر واحد) كما سيشتري لأخيها أيضًا، في عمارة جديدة كان هو المقاول فيها حيث يعمل تحت يديه عمال البناء ويقوم بتوريد كل مستلزمات البناء من طوب وزلط وحديد وخشب.. وكان يعمل هو بالتالي تحت يد المهندس القائم على التخطيط والإشراف.. ولمعرفته الوطيدة بصاحب البناية الجديدة قام بشراء الشقتين حيث دفع مبلغًا من المال وهم لا يزالون يحفرون الأساسات وقسط باقي المبلغ على سنة وهي المدة التي سينتهون فيها من بناء العمارة المتكونة من اثني عشر دور وأربع وعشرين شقة، وبالفعل فكر أن خطته قد نجحت في جذب أي عريس والشرط الوحيد أن يكون ابن عائلة طيبة ويكون على خُلق لا أكثر ولا أقل..

وبالطبع كان وجدي به الصفات المطلوبة.. وقد رآها وجدي أنها مقبولة وقد اتفقا على ميعاد ثانٍ ليجلسا سويًا وبعد ثلاثة أشهر كان قد تزوج وجدي.. على أمل ألا تكون فريدة سوى ماضٍ، ولكن هل للماضي أن ينتهي بهذه الطريقة دون أن يتوقف عن دق باب حاضره ومستقبله.

وفي الليلة التي تسبق ليلة الزفاف كانت العروس متوترة بشكل كبير، فهي من أسرة منغلقة لا تعرف الكثير ولم تتكلم مع أحد البتة في أي أمور عن الزواج أو الجنس.. فكل ما تعلمه أنه يوجد تقارب جسدي بين الأزواج وهو عبارة عن بعض القبلات والأحضان والحب الذي يجمعهما تحت سقف بيت واحد فهي بالرغم من سنها إلا أنها لم تغرم برجل قط، ربما بعض الإعجاب من طرف واحد وهو من تجاهها هي ليس إلا وعندما لا تجد أي اهتمام سرعان ما تنسحب.. حاولت جاهدة أن تستجمع بعض ما كان زميلاتها في المدرسة يتحدثون فيه وتترك الباقي لخيالها.. إلا أن في يوم الحنة صباحًا كانت خالتها أم سامح تعهدت بعمل الخلطة اللازمة في الأفراح المتكونة من السكر والماء والليمون، وقامت بمساعدة العروس في نزع الشعر من الأماكن التي لم تنزع منها الشعر قط.. وحين كانت مشاعر العروس مختلطة بين الألم والبهجة، قالت خالتها ناصحة إياها ببعض النصائح في مثل هذه المواقف:

لا تكوني خجولة من زوجك، فأنتِ وجسدك حق له كما هو لكِ.. اسمعي كلامه ولا تعارضيه، كوني مبتسمة له دائمًا ولا تُكشري في وجهه ينعم الله عليكِ بالذرية الصالحة والخير الوفير..

كانت تستمع العروس لها ولا تقول شيئًا سوى إيماءة بسيطة من وجهها تعني الموافقة وقبول كلامها..

وفي المساء كانت الحنة لها طقوس خاصة، رغم أن العروس لم تعد تستخدم الحناء على الأقل في هذه العائلة إلا أن التسميه ظلت كما هي ليلة الحنة، تجمعت كل العائلة والأقارب يهنئون ويغنون الأغاني المخصصة لمثل هذا الاحتفال والمحملة ببعض التلميحات والإيحاءات، فهي أغاني تتوارثها الأجيال وتقوم النساء بغنائها مثل (أهو جالك أهوه.. ريح بالك أهوه) وأيضًا (آه يا لموني.. آه يا لموني.. في هواك ظلموني ـــ شادية) أما الفتيات تقمن بالرقص عليها والبعض منهن تقم بالزغاريد والبعض الأخر يقم بالتصفيق.. وكأنهم كونوا سيمفونية موسيقية فطرية تحمل بها العديد من الضحكات الصادرة من القلب دون تكلف وتساعد في إخراج المواهب المدفونة، أما رجال العائلة لم يكن لهم مكان في هذه الجلسات سوى أنهم ينصبون (فرشة) مكانًا في الشارع لاستقبال الرجال ويقومون بتشغيل الأغاني مع سماعات عالية الصوت جدًا تسمى (دي جِا) مع إحضار بعض الفرق الشعبية،

فهم مجموعة من الرجال يرتدون الجلباب البلدي ويقومون بالضرب بعصا رفيعة على الطبلة المعلقة بحزام على أكتافهم والعزف على المزمار مُصدرين موسيقى شعبية فهي من التراث المصري الأصيل أيضًا.

وحين ذهبت أم العروس وخالتها إلى شقة العروس صباحًا ليضعوا اللمسات الأخيرة عليها قبل إغلاقها لتكون الشقة في انتظار العرسان مساءً.. فقاموا بوضع العصير في الثلاجة وصينية العشاء على ترابيزة السفرة وكانت مكونة من حمام محشي بالفريك وبطة، حتى يتعشوا بعد يوم طويل وحتى يتغذى العريس والعروس أيضًا، واضعين قميص نوم أبيض على مفرش السرير للعروسة بجانبه بيجامة حرير بيضاء للعريس، كما وضعوا قطعة من القماش الصغيرة بيضاء اللون على الكومود.

وبعد أن انتهى الفرح الذي كان في إحدى ليالي شهر أبريل ١٩٩٧ دخل العريس والعروس بيتهم الجديد ودعا كلاً من العروس والعريس الله أن يبارك لهم في بيتهم الجديد.. جلسوا سويًا على كراسي الأنتريه قام وجدي قائلاً: سأحضر بعض العصير من الثلاجة لنشربه سويًا، هزت رأسها موافقة.. أحضر كوبًا واحدًا من عصير الليمون وبعد أن شرب نصفه جلس جانبها ومد الكوب ليشربها إياه..

قام آخذًا يديها لتقوم معه قائلاً: هيا لنغير ملابسنا.. قامت معه ولكنها أخذت قميصها وطلبت أن تدخل الحمام.. لقد خلعت فستانها لبست قميصها وخرجت من الحمام فوجدته لابسًا روب حريري واتضح من النظرة الأولى أنه لم يلبس شيئًا تحته..

شعرت بخجل حتى أنها حوّلت عينيها عنه وتصبب جبينها عرقًا ولكنه قام باحتضانها مقبلاً إياها فكان نهمًا معها، كان يشعر أنها حلاله من حقه أن يُشبع جوعه منها، إلا أنها لم تطلب شيئًا سوى أن يُطفئ الإضاءة فقد كانت خجولة حتى من جسدها.. أن يراه ويتفرس فيه وبالفعل أطفأ النور ولكنها كانت تقاومه في كل مرة يحاول أن يقترب منها أكثر لدرجة أنها أصابته بالإحباط من مقاومتها له.

فهو لا يريد شيئًا إلا برضاها، أما هي فلا تشعر إلا بالخوف من الذي سيحدث، وبعد أن قضوا الليل بلا طائل، قال هو: أنا جائع، تعالي لنأكل سويًا..

قامت معه كلوا وشربوا وجلسوا يتسامرون فهي تحكي له عن مشاعرها حين قاموا باختيار وتأجير فستان الفرح وكيف هي فرحتها به كزوج لها وأن الله عوضها به بعض طول انتظار..

كُل ما أثار انتباهها وتمنت أن تلمسه وتغوص فيه برأسها ووجهها، كان شعر صدره، أما هو في الواقع لم يحكِ أبدًا شيئًا عن حياته الشخصية الماضية سواء عن فريدة أو عن أي شيء أخر.. بل كان مستمعًا جيدًا لها..

وحين انتهت من كلامها قال غامزًا بعينيه رافعًا أحد حاجبيه،

لعل يكون هداكِ اللّه..

معيدًا نفس المشهد السابق، هيا بنا مادًا يديه قامت معه وقد كان انتهى الليل وقد شقشق الفجر وقامت العصافير تزقزق، تغني وتشكر ربها من أجل يوم جديد وها هو الديك يصيح وكأنه يلقي تحية الصباح على كل البشر وعلى كل من يسمعه..

لم تقاومه حنان العروسة كثيرًا هذه المرة إلا أنها صممت أيضًا أن يطفئ الإضاءة مع أن نور الشمس بدأ ينسدل مخترقًا فتحات الشيش واصلاً إلى داخل الغرفة..

إلا أن ما توقع أن يراه وما يسمع عنه لم يجده!! فهل هي فاقدة عُذريتها؟؟

وبعد أن نام بجانبها سألها نفس السؤال، إلا أنها أقسمت باللّه أن لم يمسها أو يلمسها أحد.. فتح عينيه على أخرهم ثم زرهم قائلاً: إذن كيف؟؟

لم تجد ما تقوله بعد أن أقسمت له فهل سيصدقها.. أما هو فلا يريد أن يظلمها فقرر الانتظار حتى يستوضح الأمر وبعد فترة قد غلبهما النوم وراحا في سبات عميق.. فقد نامت في حضنه، مختبئة منه وبه.

وعندما عاد حازم وهناء من الفرح.. دخلا ليطمئنا على حال فريدة.. حيث إنها مصابة بالحمى منذ يومين وقد قرر الدكتور أنها تحتاج إلى عملية استئصال اللوَز بعد أن تتعافى تمامًا من هذا الدور إلا أنها رفضت موضوع العملية وآثرت العلاج حتى النهاية.. فلم تستطع الذهاب إلى عُرس ابن عمها ولذلك كان فريد معها حتى لا يتركها وحيدة..

وبالطبع ما عم بالفائدة على وجدي حيث إنه انشغل بعروسته وفرحه، إلا أنه للحظات قد تساءل بداخله لماذا فريدة لم تأتِ وشعر بتردد أن يسأل عنها إلا أنه قد استصعب السؤال.. وسريعًا ما استأنف فرحته وانشغاله بالعروس والمهنئين.

فريدة كيف حالك حبيبتي؟ واضعة يديها على جبينها.. وقبل أن ترد، قالت تمام واضح أنكِ أفضل حالاً.

نعم يا أمي.. أشعر بتحسن كبير.. الحمد لله.

بعد أن اطمأن والدها عليها تاركًا إياها متجهًا إلى غرفته.

سألت فريدة والدتها:

كيف كان حفل الزفاف ووجدي وعروسته؟؟

أجابت والدتها:

لم يكن سيئًا ولا عظيمًا والعروس حنان لأول مرة أراها فهي متوسطة الجمال تشعرين من الوهلة الأولى أنها من الأرياف وفستانها لم يكن أحسن شيء.. ولكن على أي حال ربنا يسعدهم، وأفرح بك حبيبتي.

لم تجب فريدة إلا بإيماءات تدل على إنصاتها لوالدتها وابتسامة تعلو شفتيها.

في العادة عندما تكون الفتاة محور اهتمام وحب حقيقي من رجل ما، إن لم تبادله المشاعر من المستحيل أن تكرهه، على الأقل تكن له مشاعر مودة واحترام مع بعض من العطف والشفقة لأنها لم تبادله نفس المشاعر ولأنه يظل يعاملها كأميرته حتى ولو الأمل فيها مفقود.

تذكرت فريدة عندما كانت تقيم في منزلها القديم وعندما كانت تسهر مع بنات عمها في بيتهم أن وجدي كان دائمًا يستمع أغانٍ لفريد الأطرش والمغنيين الذين كانت تسميهم بالقدماء وذات مرة سألته: وجدي!!

لماذا تستمع للأغاني القديمة؟ ثم قالت ساخرة: وما هذا الذي تستمع إليه؟ ماذا يعني أن (الحب من غير أمل أسمى معاني الغرام)؟ ألا ترى أنها كلمات تخلو من المنطق!!

ثم تذكرت كيف نظر إليها نظرة حانية مليئة بالحب قائلاً: لأنك مازلت صغيرة يا حلوًتي لا تشعرين بالكلمات لكن حين تكبرين أعدك أنك ستحبينها، ثم إن هذه الأغنية تُدعى لحن الخلود وابتسم ابتسامة عريضة من الأذن للأذن كما أني أوافقه الرأي في أن الحب من غير أمل أسمى معاني الغرام ممسكًا بأصبعيه ذقنها مداعبًا إياها كأنها صغيرته المدلله، بالرغم أنه لم يكمل تعليمه إلا أنه كان متذوقًا جيدًا للفن وخاصة الأغاني والموسيقى.

تنهدت فريدة مبتسمة متمنية له بداخلها التوفيق والسعادة في حياته الجديدة.

●●●

obeikan.com

عزيز ١

وما إن انتشر الخبر أن نتيجة الثانوية العامة قد ظهرت وكل البيوت المصرية من شرقها لغربها ومن شمالها لجنوبها، أصبحت في حالة من القلق والتوتر منهم من شغل محطة الراديو ليستمع إلى الأسماء مع أرقام الجلوس والنتيجة الكلية للامتحانات، ومنهم من ذهب إلى المدرسة غير قادر على الانتظار.. لقد حصلت فريدة على ثمانين بالمائة والذي أهلها للدخول لكلية التجارة جامعة عين شمس بحسب التنسيق وهي ما أطلق عليها كلية الشعب نظرًا لأن معظم الشباب كانوا يدخلونها.

لم تكن فريدة بكامل سعادتها؛ لأنها كانت تطمح في كلية أفضل إلا أنها كل ما فعلته أن شكرت الله واستبشرت خيرًا بالمرحلة القادمة من حياتها.

كانت فريدة في غاية السعادة عند دخولها الجامعة، فهو مجتمع ساحر بالنسبة لها، تعرفت على العديد من الفتيات والفتيان، كانت تتمتع بجاذبية ليست بقليلة فمع الوقت كان أصدقاؤها يدعونها بالبرنسيسة لما تتمتع به من رقي في التعامل وهدوء أقرب من الوداعة عنه عن البرود.

ومـرت السـنة الأولـى علـى فريـدة في الجامعـة وهـي في قمـة سـعادتها والتـي حصلـت فيهـا علـى تقديـر جيـد جـدًا ممـا جعلهـا متحمسـة للدراسـة بشـكل كبيـر، وفي بدايـة السـنة الثانيـة في الجامعـة وقـد كانـت مـع إحـدى صديقاتهـا تدعـى كرسـتين، وبعـد إحـدى المحاضـرات، سـألتها فريـدة: مـن هـذا الشـاب الـذي تتجمـع حولـه الفتيـات؟

أجابتهـا: إنـه عزيـز يـا فريـدة فهـو جديـد هنـا إذ حـول إلـى هـذه الجامعـة حديثًـا.

لكـن لمـاذا يتجمعـن حولـه؟ قالـت فريـدة سـاخرة: هـل يعتقـدون أنـه تـوم كـروز؟!!

ضيقـت عينيهـا مبتسـمة: لا تنكـري يـا فريـدة أنـه وسـيم لدرجـة كبيـرة.

هـزت فريـدة رأسـها سـاخرة وقالـت: ربنـا يشـفيهن وكأنهـن لـم يـروا شـابًا وسـيمًا مـن قبـل، إن هـذه الطريقـة هـي مـا تجعـل الشـباب يشـعرون بالغـرور.

ووضعـت فريـدة في قلبهـا أنهـا لـن تكـن مثلهـن ذات يـوم، كمـا أنهـا لـم تبـدأ بمحادثتـه رغـم تقابـل عيونهـم مـرات عديـدة.

وسـرعان مـا تحولـت هـذه النظـرات إلـى إعجـاب، إعجـاب متبـادل بينهـم وفي أول لقـاء يجمعهمـا في قاعـة المحاضـرات وقفـوا يتبادلـون أطـراف الحديـث..

يتمتـع عزيـز بـكل صفـات الشـاب الوسـيم، المـودرن، الـذي تتمنـاه معظـم الفتيـات، فهـو رشـيق، طويـل، ذو عينـين زرقـاء بلـون السـماء الصافيـة ورثهمـا عـن والدتـه، شـعره بنـي فـاتح وأنـف وفـم صغيـر وأسـنان بيضـاء كالحليـب وشـنب بنـي خفيـف زاده وسـامة، سـاهم شـكله في أن يكـون محبوبًـا بالإضافـة إلـى اعتنائـه بكلماتـه قبـل أن يُخرجهـا مـن شـفتيه وتطلعـت الفتيـات لإيقاعـه في الحـب والـزواج منـه إلا أن شـخصيته واحترامـه الأخريـن والمحافظـة على مشـاعرهم كان لـه دور كبيـر أيضًـا.

قالت وهي مبتسمة نصف ابتسامة، ربما أرادت أن تشاكله!!

عزيز.. اسمك جميل لكنه قديم بعض الشيء!

علـى أسـاس إن اسـمك جديـد، فكـر عزيـز أن يـرد عليهـا هـذا الـرد إلا أنـه تراجـع؛ لأسـباب يعلمهـا هـو، ربمـا شـعر أنهـا رقيقـة لدرجـة أنـه لـم يـرد أن يضايقهـا أو لأنـه رأى بهـا شـيئًا مختلفًـا عـن البقيـة.

ابتسم عزيز بالمقابل قائلاً: إنه اسم جدي حيث توفي قبل ولادتي بشهرين وسميت باسمه تخليداً لذكراه.

عزيز.. ماذا يعمل والدك؟

أجاب وكلماته تملؤها الجدية: إنه رئيس مجلس إدارة.

حقًا، في أي شركة؟

في إحدى أكبر الشركات في الجنة.

تلبكت لثوانٍ معدودة محاولة إخفاء ابتسامتها معتذرة عن سؤالها.

أجاب: أبدًا أبدًا.. لا تكوني آسفة.. إنه منذ زمن طويل، إن والدي توفي بعد ولادتي بثلاث سنوات تقريبًا.. أكاد لا أتذكره من الأساس.

ثم قال ساخرًا: من الواضح أن وجهي نحس على العائلة.

ضحك.. فضحكت معه..

توطدت العلاقة بينهما.. أصبحوا صديقين مقربين لبعضهم البعض تكلموا في كل شيء تقريبًا عن حياتهم..

كم تمنى عندما يكون جالسًا بجانبها أن يمرر أصابعه على خدها أو يفاجئها بقبلة سريعة على وجنتيها إلا أن أمنياته لم تظهر أبدًا للنور.

فقد كانوا يقضون معظم أوقاتهم سويًا، وإن لم يكونا سويًا فهم يتذكرون كل كلمة تكلموها بكل المشاعر المصاحبة لهم.

وفي إحدى المرات وهي تحكي له عن والدتها وأحد المواقف التي حدثت بالأمس مما جعلها تضحك هي ووالدتها حتى دمعت عيناهما.. إلا أنها استوقفت فجأة:

عزيز!! أنت لم تخبرني قط عن والدتك.

ابتسم لها ابتسامة هادئة مليئة بالحزن، ولكنه سرعان ما فتح لها تليفونه المحمول ماركة توشيبا وكان من أولى الماركات التي ظهرت مع ماركة نوكيا في عالم الموبايل في مصر فقد اشتراه جده له كهدية دون مناسبة، فهو لم يكن غنيًا بما يكفي لشرائه إلا أنه عن اقتناع ورضى وطيب خاطر قرر من تلقاء نفسه أن يسحب مالاً من دفتر التوفير الخاص به الذي ادخره للزمن في حال إن مرض أو زوجته فيجد شيئًا يصرف منه دون أن يطلب من أحد خاصة أنه ليس له أبناء من الذكور وعنده ثلاث بنات قد تزوجن جميعًا من بينهم والدة عزيز، لربما أراد أن يُعبر له عن

حبه له كما أراد أن يعوضه قليلاً عن فقدان والده! فكان عدد قليل جدًا من الناس هم من يقتنون مثل هذا التليفون حتى أن جده لم يشتريه لنفسه.

قالت: مبروووك يا له من اختراع.

لقد اقتنى التليفون لكنه ظل قرابة عام لا يستخدمه لأن لا أحد من معارفه أو أصدقائه معه مثل هذا التليفون، كان خط التليفون يصل إلى ألف ومائتي جنيه مصري، بالإضافة إلى ارتفاع أسعار المكالمات.

سرعان ما انتشر التليفون واختفت ماركة توشيبا بالنسبة للتليفون المحمول وانتشرت نوكيا في مصر وفي خلال سنة كان كل من الطبقة الغنية وبعض من المتوسطة يمتلكونه وبعد مرور عدة سنوات أصبح الجميع يقتنيه من الأمير للغفير، ومن العجيب أن الناس لا تتخيل حياتها بدونه وكأنهم ولدن به!!

تنحنح عزيز قليلاً ثم قال: لقد أردت أن أحدثك عنها من قبل، عاجلاً أو أجلاً.

بدت على وجه فريدة الدهشة قائلة: من هي؟

تذكرت، حين كان يخرج أخر حرف من شفتيها وضحكت

هـي، قـال لهـا التليفـون أنسـاكِ الموضـوع أم مـاذا عمومًـا أنـا لـم أنسَ!! علـى أي حـال إن وصفـت لـكِ مـدى حبـي لأمـي فلـن تتخيلـي، يعـرف معظـم أصدقائنـا أنـي أعيـش معهـا في بيـت والـدي رحمـه اللّه، لكـن الـذي لـم أخبـره لأحـد أن والدتـي قـد تزوجـت منـذ سـبع سـنوات، وأنـا أعيـش مـع جـدي وجدتـي في بيـت العائلـة..

وتذكـر وقتهـا حـين كانـا يعيشـان سـويًا هـو ووالدتـه، فقـد كان وحيدهـا وكانـا يعيشـان علـى معـاش والـده، تذكـر والدتـه ذات يـوم أخـذت يديـه جالسـة بجانبـه علـى سـريره، مـررت أصابعهـا بـين خصـلات شـعره: حبيبـي منادية إياه زيـزو -وكأنهـا تسـترضيه لفعـل شـيء مـا، عاملتـه كطفـل صغيـر لا يتعـدى الخمـس سـنوات وهـو الشـيء الـذي كان يكرهـه، فهـو رجـل وليـس بطفـل- أنـت تعلـم أن والـدك قـد تـوفي منـذ زمـان ليـس بقليـل وكنـت مازالـت شـابة ولـم أرد أن أتـزوج لأنـك كنـت مازالـت صغيـرًا ولكـن العُمـر يمـر بـي وأنـت أيضًـا سـتكبر وتتـزوج وسـأكون وحيـدة فأنـا أحتـاج لمـن أسـتند عليـه.

وحين قال: ولكن يا أمي أنا لن أتركك أبدًا.

قاطعتـه: ابنـي إن الحيـاة مختلفـة عـن خيالنـا.. فقـط أريـدك أن تقابـل ذلـك الشـخص الـذي طلـب يـدي للـزواج وإن لـم توافـق أنـت عليـه، لـن أوافـق أنـا أيضًـا.

وحين رآه في الواقع.. عرف عزيز من اللحظة الأولى أنه لم ولن يحبه، لكنه لم يفصح عن مشاعره خصوصًا أن والدته كانت سعيدة به، كل ما نطق به كما تريدين يا أمي، وكل ما فعلته هي أن احتضنته وقبلت جبينه، قالت: لن يستطيع أحد أن يأخذني منك فأنت الوحيد الذي له قلبي وعمري كله.

وبعد أن تمت مراسم الزواج وعقد القران أخذه جده وجدته معهما إلى البيت ومنذ ذلك اليوم وهو يقيم هناك وتأتي والدته كل أسبوع لزيارته.

بعد سنتين من الزواج أصبح لديها ولد وبنت أخرين، لقد عرضت عليه عدة مرات أن يأتي ليعيش معهم إلا أنه رفض رفضًا قطعيًا.

إنه ما أسهل الكلام وما أصعب الفعل!!

لم يحكِ لها أدق التفاصيل لكنه وعدها أنه سيخبرها كل شيء لاحقًا خاصة أنها أصبحت صديقته التي التصقت نفسه بها أكثر من أي شخص أخر، أصبحا متفهمين بعضًا وشاعرين ببعضهما البعض لدرجة أنه حين يتكلم تُكمل جملته، حين يصمت تعرف في ماذا يفكر، حينما تغضب يعرف كيف يجعلها تضحك بملء شفتيها وقلبها، وعندما تحزن يعلم كيف يجعل قلبها يرقص

بـين أضلعهـا.

إن جُرح نزفت هي، وإن هي تألمت بكى هو!

أصبحت تتنفسه كالهواء كما أصبحت هي كالدم الذي يضخه قلبه لباقي أجزاء جسده مانحة الحياة إياه.

تكلما في كل شيء وحلما سويًا بحياتهم المستقبلية حتى عدد الأطفال لقد قالوا إن أعطاهم الله سيكونان فقط اثنين أيًا كان نوعهم، فهو يريد ابنه مثل والدتها في رقتها ووداعتها وهي تريد ابنًا يشبهه في كل شيء حاملاً كل صفاته دون استثناء، سيعملان سويًا ويبنون حياتهم وسيعيشونها كما خططوا لها.

●●●

obeikan.com

حنان ووجدي ٢

رن جرس التليفون، قامت حنان مفزوعة ناظرة حولها تستوضح هل هي في الواقع أم أنها في حلم؟؟ وعندما وجدت وجدي بجانبها تأكدت أنها بالفعل قد تزوجت وأن ما حدث حقيقة، أمسكت بالسماعة: ألو..

صباح الخير يا عروسة، كيف حالك حبيبتي؟

صباح النور.. أنا بخير ماما.

هل كل شيء علي ما يرام؟

لا أعرف....

لماذا حبيبتي؟ ماذا بك؟

عندما تأتين سأحكي لكِ.

عمومًا أنا وبابا وإخواتك بنستعد لزيارتكم وإن شاء الله في خلال ساعة نكون عندكم، تكونوا أنتم أيضًا استعدتوا لاستقبال الناس

في انتظاركم ماما.

obeikan.com

استيقظ وجدي وقال وهو يفرك عينيه بيديه: صباح الخير حنان.

أجابت على استحياء: صباح النور وجدي.. إنها ماما سيأتون لزيارتنا في خلال ساعة.

قام وجدي من سريره متعجلاً إلى الحمام أخذ دشًا سريعًا..

عندما انسابت المياه على جسده أخذ يفرك شعره إلا أن رأسه كان مليئًا بالأفكار التي رفض التفكير بها لكنها أشعرته أن جسده أصبح ثقيلاً وكأنها أكسبته وزنًا إضافيًا، استند على حائط البانيو تنهد تنهيدة عميقة مستجمعًا قواه..

وجدي الفطار جاهز قالت عروسته...

أجابها: حاضر حنان.

انتظرته على كرسي السفرة تناولوا بيضًا مسلوقًا وجبنة بيضاء وفطيرًا مشلتتًا وعسلاً وشايًا دون أن يتفوه أي منهم بأي كلمة، وكأن الكلمات والحروف اختفت فجأة مُعلنة هروبها ولم يستطيعوا أن يجدوها أو ما يقولوه.

رن جرس الباب..

فتح لهم وجدي الباب.. دخلوا مهنئين ومباركين والفرحة

obeikan.com

والابتسامة ملأت وجوههم، وجاؤا محملين بشتى أنواع الحلوى والمأكولات الشهية المطبوخة الجاهزة للأكل.

دخلت الوالدة مع حنان المطبخ ليعدوا مشروبًا ساخنًا مع إحضار بعض من الحلوى التي أحضرتها عائلة العروسة معهم.

قالت الأم: ما الأخبار يا حنان؟ ماذا بكِ يا عروسة؟ وهي قلقة ومتوجسة..

إلا أن حنان قالت بخجل كل شيء على ما يرام إلا شيئًا واحدًا وحكت لها ما قاله وجدي وسألها عنه..

بدت الحيرة على وجه والدتها وطلبت منها أن تأتي معها إلى حجرة النوم حيث يوجد التليفون، أخرجت من حقيبة يدها نوتة تليفون ورقية حيث يوجد بها بعض من أرقام التليفونات الهامة بالنسبة إليها أغلقت باب الغرفة وقامت بالاتصال..

ألو.. صباح الخير، دكتورة فيولا موجودة بعد إذنك.

صباح النور.. من معي؟؟

منى محفوظ.

أهلاً أهلاً مدام منى.

أهلاً بحضرتك يا دكتورة.

أريد أن أستشيرك في شيء ما.

خير.. اتفضلي.

تنحنحت منى، في الحقيقة إن ابنتي حنان تزوجت ليلة أمس.

ألف مبروك

شكرًا.. بارك الله فيكِ..

إلا أنه من الظاهر أنه توجد مشكلة في فض غشاء البكارة؛ لذلك نود في زيارتك إن أمكن حتى تقومي بإفراغه.

صمتت فيولا قليلاً.. مدام منى أهلاً وسهلاً بكم في أي وقت ولكن كما تعلمين أنه يوجد عدة أنواع من هذا الغشاء؛ لذلك في رأيي أن تنتظروا مع الوقت سيكون كل شيء على ما يرام، لكن يا دكتورة..

قاطعتها قائلة:

مدام منى إن أتيتم بها سيكون الأمر مؤلمًا بالنسبة لها، لماذا التسرع؟ اجعلي كل شيء يأتي طبيعيًا أفضل.

كما ترين يا دكتورة.

يارب دايمًا بأفضل حال وطمنيني عليها.

حاضر.. إن شاء الله.

حكت منى لابنتها كل ما قالته الدكتورة.. وعندما ذهبت العائلة.. أخبرت حنان زوجها بكل ما قيل.

أما وجدي أجاب بإيماءة بسيطة بوجهه ولم يسأل أو يستفسر عن شيء سوى أنه قال عندما تأتي أسرتي في المساء إن حدث وحماتك سألتك عن أي شيء، قولي أن لديكِ العادة الشهرية ومع الوقت لن يستطيع أحد أن يسألك في أي شيء مرة أخرى.

مر شهران على زواج وجدي ولا يوجد جديد إلا خبر حمل زوجته، وعندما علم وجدي بهذا الخبر كانت مشاعره مختلطة، كان أمام وجدي طريقين: الأول: أن يواجه الأمر ويحقق فيه ويحدث ما يحدث.

والثاني: أن يتجاهل الأمر ويهرب من حتى التفكير فيه.

وقد اختار الاختيار الثاني مؤقتًا إن كان يعي ذلك أو لا لكنه قد اختار الهروب.

وقررت حنان أن تتابع حملها مع دكتورة فيولا حيث إن والدتها أوصت بها، فهي امرأة ولن تخجل منها أو من سؤالها أي سؤال بالإضافة أنها دكتورة لها سمعة طيبة.

obeikan.com

وفي إحدى مرات المتابعة، ذهب وجدي معها إلى الدكتورة وطمأنتهم على الجنين وكتبت لها بعض الفيتامينات التي تعزز صحتها وصحة الجنين.

وبعد هذه الزيارة بأسبوع كان قد انتهى وجدي من عمله مبكرًا فلم يرد أن يعود للبيت وأخذته قدماه إلى المكان الذي يفضله وهو مصر القديمة حيث زار جامع عمرو بن العاص، الذي بُني في الفسطاط عاصمة مصر قديمًا وهو أول جامع بني في مصر وأفريقيا عندما فتح عمرو بن العاص مصر سنة ٢٠ هجريًا و٦٤١ م.

خلع حذاءه خارجًا ودخل توضأ وصلى ودعا الله باسطًا يديه إلى الأعلى، أن يرشده ويهديه إلى الحق والصالح فهو لا يريد أن يكون ظالمًا لأي من كان..

إن مصر القديمة هو المكان الذي يشعر فيه بسكينة وهدوء لم يشعر بها في أي مكان أخر، حيث إن الهواء نفسه له رائحة مختلفة، رائحة محملة بالتاريخ، إنه عبق التاريخ.

وعندما يذهب إلى مصر القديمة لا يفوته أبدًا زيارة الكنيسة المعلقة للسيدة العذراء وإضاءة شمعة أمام أيقونتها هناك فهي كنيسة أثرية يقال أنه المكان الذي احتمت فيه العائلة المقدسة

عند هروبها من هيرودس حاكم فلسطين آنذاك الذي أمر بذبح كل الأطفال الذكور من سن يوم إلى سن سنتين، بنيت في هذا المكان قبل القرن الخامس الميلادي على أحد أسوار حصن بابليون الروماني الذي بناه الامبراطور تراجان.

فهو رجل مسلم إلا أن السيدة العذراء مريم رمز للأمومة والطهارة والبتولية في نظره ووجدانه، كما أنها كُرمت في القرآن الكريم..

مر أمام المعبد اليهودي وسأل نفسه: لماذا لم يفكر في الدخول إليه وزيارته؟ أليس هو بيتًا من البيوت التي يُعبد فيها اللّه؟ فهي ديانة سماوية وأول ديانة توحيدية على مر التاريخ كما أنه سمع من قبل أنه المكان الذي كان فيه موسى النبي عليه السلام وعندما اقترب منه لدخوله إلا أن الأمن رفض أن يقترب حتى من الباب وليس الدخول سأل وجدي: لماذا تمنعونني؟

إلا أن عسكري الأمن لم يجب سوى بكلمتين: ممنوع يا أستاذ!! بصوت غير قابل للنقاش.

تنحى وجدي من أمامه ذاهبًا في طريقه.

وبعد أن أنهى جولته وهو يجوب في شوارع القاهرة وجد يافطة مكتوب عليها (دكتورة سوزان إبراهيم أخصائية نساء وولادة جامعة القاهرة).

أخذته قدماه إلى حيث العيادة.. قابلته الممرضة وكانت العيادة مكتظة بالسيدات وبعض من أزواجهن معهن، سألته الممرضة: اتفضل.. أجاب: أريد كشفًا.

باسم من؟؟

صمت ثوانٍ ثم قال: إنها استشارة ليس أكثر.

أجابت والملل قد أصابها:

باسم من حضرتك؟

أأأأأأ باسم وجدي.

أجابت والاستياء ظاهر على وجهها، حضرتك.. دكتورة سوزان تخصص نساء واتكت على الحروف أكثر لعله يستوعب.

أنا أعلم يا آنسة أنها استشارة ليس إلا.

لن أستطيع أن أحجز بدون إخبار الدكتورة أولاً.

أجاب: ليكن كذلك.

جلس وجدي على أقرب كرسي ناظرًا حوله نظرة سريعة فوجد سيدتين بطونهن كبيرة من الواضح أنهن على وشك الولادة كما لاحظ امرأة تنظر له باشمئزاز وكأنه رجل مخنث، أدار وجهه سريعًا عندما شعر بنظراتها، كانت قد خرجت الممرضة، أجابته: بأن الدكتورة وافقت لمقابلته، وعندما حان دوره، دخل حجرة الكشف، ألقى التحية على الدكتورة التي كانت قد تجاوزت الخمسين من عمرها، قابلته بابتسامة عذبة:

اتفضل خير؟

أخذ نفسًا عميقًا ثم قال: أريد أن أستشير حضرتك في شيء ما.. وأكمل كلماته عن زوجته وعن الموضوع الذي يؤرقه.

بعد أن استمعت له وقال كل ما يشغل باله:

أستاذ وجدي.. توجد عدة نقاط أساسية في هذا الموضوع:

أولًا: نقاء وطهارة الفتاة ليس مرتبطًا بهذا الغشاء.. إنما المجتمع هو الذي فرض هذه العادات.. ونحن نتوارثها دون التفكير فيها.

ثانيًا: إن لم تكن واثقًا فيها ثقة كاملة إذن لماذا تزوجتها؟

ثالثًا: يوجد القليل من الفتيات التي ولدن بدون هذا الغشاء فهو

كـ عيب خلقي ولدن هكذا، كما يوجد من فقدوه لأسباب عدة دون الاتصال الجنسي.

رابعًا: توجد أنواع لا تفض إلا أثناء الولادة.

أستاذ لا تقلق الأهم هو ما بعد الزواج وليس فيما قبل الزواج، أريدك أن تعلم أن عذرية الجسد ليست مقياسًا للطهارة والعفة بالمقارنة مع عذرية الفكر، أخبرني أستاذ: ما فائدة عذرية الجسد إن كان الفكر عاهرًا.

أخذ وجدي نفسًا عميقًا وهو يقوم من كرسيه ثم شكرها، إذ أن كلماتها كان لها تأثير المهدئ على قلبه وكتأثير القليل من المياه على النيران المشتعلة داخله والتي تأكل فيه بلا هوادة.

استراح وجدي ولو قليلاً وعاد إلى بيته دون أن يحكي عن أي شيء أما حنان كانت تعلم جيدًا أن هذا الأمر يشغل بال زوجها، إلا أنها ماذا تستطيع أن تفعل أو تقول؟ إنها بالفعل لم تخطئ في حياتها، لم تُمس أو تلمس من أي شخص طول حياتها، كما أنها لم يُعتدَ عليها، تتمنى أن تريحه ولكن كيف؟!!

مرت الأيام والشهور وكلاً منهما محاولاً نسيان الأمر وتأتي بنتهما فرح التي صمم أن يسميها بهذا الاسم لأن أول حرفين منها هم أول حرفين من اسم حبيبته ولو لم تعرف أسرته بحبه لها

لأسماها باسمها إلا إنه لا يريد أن يكون مكشوفًا إلى أخره، كما تمنى أن تكون بالحقيقة مصدرًا للفرح والسعادة في حياته.

●●●

obeikan.com

obeikan.com

عزيز ٢

وعند ظهور نتيجة السنة الثانية في الجامعة وهم يتفحصون لوحة الشرف لأوائل الكلية وإذ أن فريدة حازم كمال الفقي تحتل المركز الثاني.

أما عن سعادتها فكانت لا توصف، فكان في نظرها أول نجاح فعلي تحققه في حياتها.

كما أن أصدقاءها قد حصلوا على تقديرات ما بين جيد وجيد جدًا أما عزيز فكان في المرتبة الثالثة بعدها مباشرة.

أرادوا أن يحتفلوا جميعًا بها وبأنفسهم، وبعد أن اطمأنوا على نتيجة بعضهم البعض اقترحت إنجي أن يحتفلوا سويًا.

وقالت كرستين لنشاهد فيلمًا في السينما.

أجاب وليد: يوجد فيلم جديد الكل يتحدث عنه.

قاطعته كرستين: أتقصد تيتانيك.

نعم هو..

ترددت فريدة لثوانٍ، ثم قالت أنه يجب عليها أخذ موافقة والدها قبل أن تذهب لحضور الفيلم، كانت تعي فريدة أن الذهاب

obeikan.com

إلى السينما من المُحرمات عند والدها؛ ولذلك لم تستطع الذهاب إلا بأخذ رأيه أولاً.

إذ كان يرى هو أنه من العيب أن تصرف مالك في أمور تافهة ومن الممكن أن تصل بك إلى نار جهنم في حين أنه من الممكن أن تصرف مالك في أعمال خير تساهم في دخولك الجنة.

وصلت إلى الكشك القريب من الجامعة الذي به آلة تصوير ويقوم ببيع بعض الكتب الجامعية المصورة للطلبة.

قالت والفرحة تملأ نبرة صوتها: بابا، لقد نجحت!! لقد حصدت المركز الثاني على الطلبة في كُليتي.

ألف مبروك فريدة، صحيح هذه هي بنتي حبيبتي التي تجعلني دائمًا فخورًا بها.

بابا..

نعم يا فريدة، ممكن أطلب طلبًا صغيرًا.

اطلبي كما تشائين إنه يومك حبيبتي.

بابا.. كل زملائي يريدون أن نحتفل بهذه المناسبة السعيدة.. ووقالت والارتباك غطى صوتها، أغمضت عينيها ونطقتها بلمح البصر أن نشاهد فيلمًا في السينما..

openkan.com

ساد الصمت للحظات.. فريدة، ماذا تقولين؟ أنتِ تعلمين رأيي مسبقًا في هذا الموضوع..

لكن بابا من فضلك، إنها أول وأخر مرة..

تأتأ حازم قاطعًا بكلامه أي أمل:

لا يا فريدة.. اطلبي أي شيء آخر..

خلاص بابا.. سنفكر في أي شيء أخر.

أغلقت سماعة الهاتف ودفعت حساب المكالمة وفي الخطوات المعدودة للوصول إلى أصدقائها فكرت أن تضرب برفض والدها عرض الحائط وتذهب معهم إلى السينما، إلا أنها خافت من أن يعرف والدها، كان الخوف سمة من سمات شخصيتها التي طالما كرهتها، وحين وصلت إليهم بدا على وجهها الضيق فعلموا بعدم موافقة والدها.

اقترحت كرستين أن يجلسوا في إحدى الكافيهات القريبة من الجامعة ليحتسوا شيئًا احتفالاً بهذه المناسبة.. وأيد عزيز الفكرة حتى يُرضي فريدة ولا تكون متضايقة من رفض والدها.

جلسوا في كافيه إذ طلبوا من الجرسون أن يضم لهم منضدتين ليجلسوا جميعًا، منهم من طلب عصيرًا طازجًا، ومنهم من طلب

نسكافيه أو قهوة.. كانوا يتحاورون عن أحلامهم للسنة القادمة وأثنوا على بعضهم البعض بكلمات محبة.. دفع كل واحد منهم حسابه لنفسه إلا أن حساب فريدة، تجمعوا كلهم ليدفعوه بما أن الخروجة كانت احتفالاً بها أولاً وبهم ثانيةً.

ربما كان هذا اليوم يومًا عاديًا بالنسبة لكل الأصدقاء وقد مر مرور الكرام إلا أنه لم يكن يومًا عاديًا بالنسبة لـ عزيز وفريدة بل ظل محفورًا في وجدانهم مهما مرت السنون عليهم، وحين قام الجميع قاما معهم ليذهب كل واحد في طريقه وحين وقف لحظة ليسلم عليها قبل المغادرة أعطاها كيسًا صغيرًا مصنوعًا من القطيفة الحمراء، وحين قالت: ما هذا؟

أجابها: لقد علمت من البارحة أنك في المرتبة الثانية وأردت أن أشتري لكِ هدية.

لم تستطع أن ترفض فقبلتها منه شاكرة إياه، لكنه قال: لا تفتحيها إلا حين تصلين إلى البيت.

أجابت بالموافقة..

ظلت محتضنة الكيس الصغير بين يديها حتى وصلت البيت.

سارعت بإغلاق باب غرفتها، فتحت الكيس وإذا به خاتمًا من الذهب الأصفر به فص صغير يحيطه من الاتجاهين شكل على

هيئة ورقتين من الأشجار تحتضن الفص وتظلل عليه، قربته على شفتيها مقبلة إياه واضعة إياه في أصبعها.

●●●

obeikan.com

obeikan.com

عيد الأضحى المبارك

رن جرس التليفون في بيت حازم:

ألو.. صباح الخير؟؟

من معي؟؟ وحين سمع صوتها تجيبه وثب قلبه من مكانه وتسارعت نبضاته قائلاً:

أنا وجدي.

كيف حالك فريدة؟

أهلاً وسهلاً وجدي.

كل سنة وأنتِ بخير.

وأنت بخير وجدي شكرًا لك.

كيف حالك في الدراسة؟

تمام الحمد لله، وأنت كيف حال حنان وفرح؟؟

بخير الحمد لله.

لو زوجتك موجودة بجانبك.. أعطني إياها لأتمنى لها عيدًا سعيدًا

obeikan.com

تقطعت حروفه، تلعثمت كلماته، قائلاً: إنها في المطبخ، سأناديها لكِ، انتظري لحظة.

وبعد ثوانٍ معدودة: أهلاً فريدة.

كل عام وأنت بخير حنان.

وأنتِ بخير حبيبتي، أرسلي سلامي لوالديكِ.

حاضر سأرسل لهم سلامك.

سلام.

مع السلامة.

وقبل أن تغلق سماعة الهاتف، شعرت فريدة أن طبلة أذنها قد ثُقبت!

إنه صوت صريخ حنان، وسماعة التليفون مترنحة بين يديها يمينًا ويسارًا: ألم تستطع نسيانها؟ هل افتقدت صوتها؟ هل مازلت مغرمًا بها؟ لماذا عليّ أن أتحمل كل هذه السخافات؟!

أما وجدي صرخ في وجهها أغلقي سماعة الهاتف أولاً ثم تحدثي.

وهي مستمرة في صراخها:

ماذا أكون أنا بالنسبة لك؟ صفر على الشمال!

أخذ وجدي السماعة من يديها بقوة واضعًا إياها على أذنه:

ألو فريدة..

وما إن سمعت فريدة اسمها بصوته حتى أغلقت الهاتف.

حاول وجدي تهدئة زوجته بعد أن لوت وجهها عليه مقنعًا إياها أنه أراد فقط أن يتكلم مع عمه ليتمنى له عيدًا سعيدًا ويستفسر منه عن أحد الأمور البنكية، إلا أنه من سوء الحظ قد أجابت فريدة على الهاتف.

أما داخله كان يقصد أنه من حسن حظه أن أجابته هي!

كانت حنان لم تعلم أي شيء عن حب وجدي لابنة عمه ولم يخبرها عنها قط، كما أنه قد أخذ عهدًا على نفسه أنه لن يخون زوجته، فإن فريدة أيضًا أكبر بكثير داخله من أن يحكي عنها لأي شخص حتى ولو كانت حنان.

وفي إحدى الزيارات لعائلته وبمحض الصدفة عرفت حنان بقصة حب وجدي لفريدة! إلا أن كل شيء قسمة ونصيب وما زاد من نارها أنه لم يخبرها قط عنها أو عن حياته السابقة شيئًا.

في الواقع أنه لم يخنها الخيانة الكبرى بالمعنى الحرفي فقد اكتفى بها لإشباع رغبته.

ولكنه كان في كل مرة يلتهمها فيها كان يغلق عينيه متخيلاً فريدة بين ذراعيه وفي حضنه مما يزيد من إثارته أضعافًا، كان يتخيلها بأدق تفاصيلها بداية من ملامح وجهها وحتى نبضات قلبها.

كان دائمًا يصل حنان شعورًا أنها لم تكن حبيبته ولكنها فقط زوجته وأم لابنته، كم تمنت أن يُشعرها بأنه يعشقها ويهواها هي؛ لشخصها هي، أو أي شيء من هذا القبيل لكنه لم يحدث.

إنه من الغباء أن يعتقد كلاً من الزوج أو الزوجة أن الطرف الأخر لا يشعر بمدى قيمته لدى شريكه في الحياة، إن كان متوجًا على قلبه أم لا؟!

وفي رابع أيام عيد الأضحى المبارك كانت العائلة الكبيرة كلها متجمعة مع الأصدقاء والأقارب والجيران لحضور حفل زفاف أُخت وجدي وهي من أعز أصدقاء فريدة.

تقابلت عين وجدي بفريدة إلا أنها أدارت وجهها الناحية الأخرى حتى لا تكون سببًا في مشكلة أخرى بين وجدي وزوجته..

إلا أن وجدي ذهب مرحبًا بعمه وأسرته.. مُسلمًا على فريدة بيديه، حاضنًا يديها بين كفيه الاثنين، كانت فريدة شديدة التألق كنجمات السينما بل بالعكس كانت متميزة عنهن بملامحها الملائكية ووجهها الصافي، كانت مرتدية جاكتًا أحمر قصيرًا مع بنطلون أسود وحذاء أسود بكعب عالٍ وتحته شراب خفيف أسود، كان شعرها مقسومًا من المنتصف منسدلاً حول وجهها مما زادها أنوثة وبراءة في الوقت نفسه، كان متأملاً إياها، متجاهلاً كل من حوله ومن حسن حظه أنه لم يكن مُراقبًا من أحد، رآها كما هي فتاة تنبض بالحياة، عود أخضر طري خصب.

أما هو ليس سوى عود يابس، جاف، سهل الكسر، هذا ما فعله الحب به.

ومر اليوم بسلام ودون مشاكل بسبب فريدة..

إلا أن المشكلة الوحيدة التي كانت بالنسبة لحنان أن إحدى الأقارب سألتها سؤالاً جعلها تشعر بخيبة أمل.

مبروك حنان أنتِ في شهر كم من الحمل؟؟

ردت حنان بضيق مستهجنة:

حمل!!!! من قال أني حامل.

أنا آسفة جدًا تخيلت أنك حامل.

كانت تعلم حنان أن بعد ولادتها زادت عدة كيلو جرامات ولكنها لم تستطع إنزالهم..

كان شغلها الشاغل في تلك الأيام هو خسارة الوزن الزائد بأي شكل من الأشكال، تابعت كل وصفات الأعشاب، قامت بطبخ كل وصفات الريجيم التي كانت تشعرها بالقيء، سمعت كل برامج التغذية والتخسيس على شاشة التليفزيون.

وبعد نهاية أحد البرامج وقفت أمام المرآة ناظرة إلى جسمها، يقول الدكتور أن جسد المرأة يشبه الكمثرى إذ أن جسدها يميل للامتلاء من الأرداف والأوراك، الرجل يشبه التفاحة لأن جسده يميل للامتلاء من البطن والأكتاف.

نظرت مليًا إلى جسدها في المرآة فهي لا تنتمي لأي من النوعين،

لربما كان يوجد نوع ثالث، الدكتور لم يتكلم عنه إذ أن جسدها ممتلئ من كل الأنحاء، ربما يسمى البطيخة أو حتى المانجو.

في الواقع أنها لم تفكر في خسارة الوزن لنفسها بل لتظل حلوة في عينيه، لكن الذي لم تعرفه أن هذه النقطة لم يفكر فيها ولم تعنِ له شيئًا.. لربما لأنه لم يكن مشغولاً بها بأي درجة ما.

إلا أن حنـان أخيـرًا صرفـت نظرهـا عـن الموضـوع بأكملـه، لا لأنهـا وصلـت إلـى مبتغاهـا بـل لأنهـا استسـلمت أخيـرًا لوضـع جسـمها وحاولـت عـدم التفكيـر فيـه، تـأكل مـا يحلـو لهـا (واللـي يحصـل يحصـل).

تؤنـب نفسـها فقـط عنـد شـراء ملابـس جديـدة، الملابـس التـي تـروق لهـا لا تجـد مقاسـها منهـا فتدخـل في حالـة مـن الإحبـاط لا تتعـدى يومـين ثـم ترجـع إلـى سـابق عهدهـا.

●●●

obeikan.com

obeikan.com

أحلام وعود كبريت

نظر عزيز إلى عينيها مباشرة وسألها:

فريدة! أخبريني بما تحلمين؟

أنا! تقصد حلمًا كبيرًا أم صغيرًا!

!!! لنبدأ بالحلم الصغير!

ممكن أقول حلمين.

ضحك مجيبًا بالطبع.

أتمنى أن أحضر حفلة للموسيقار عمر خيرت في دار الأوبرا.

تعلم أن الموسيقى عمومًا وموسيقى عمر خيرت خصوصًا، هي تلك الحالة الشعورية التي تستطيع أن تنقلك من النقيض إلى النقيض، إما أن تجمع الدمع في مقلتيك أو يرقص قلبك بين أضلعك.

كان يستمع إليها بكل حواسه وبقلب ينبض بالاهتمام والحب، يا لك من شاعرة!!

أشرق وجهها بالسعادة.

obeikan.com

أما هو فقد سألها: إذن ما هو الحلم الثاني؟

أجابت:

أما الحلم الثاني أن أسافر في رحلة إلى مدريد في أسبانيا.

ابتسم ابتسامة عاشق، ثم سألها: إذن ما هو الحلم الكبير؟!

أنت يا عزيز، أنت هو حلمي الكبير.

تمنى عزيز أن يُدخلها تحت قميصه ويحتضنها حتى تصل إلى أحشائه وتلامس عظامه.

كانت فريدة حلمًا في عروق عزيز، وأمنيةً في وريده.

اقترب منها، أمسك بيديها طابعًا قُبلة رقيقة خاطفة على كفها.

كانت فريدة قد احتلت قلب عزيز أراد أو لم يرد، كان يراها رغم ضعفها وطيبتها ونقائها، أقوى البشر، ربما أقوى منه شخصيًا.

وضع في قلبه أنه عندما يتم الإعلان عن حفلات لـ عمر خيرت في دار الأوبرا سيسارع بحجز تذكرتين له ولـ فريدة..

وفي نفس الليلة، أرسل لها رسالة نصية على هاتفها المحمول:

لو كنت في مدريد في رأس السنة.

كنا سهرنا وحدنا.

في حانة صغيرة.

ليس بها سوانا.

تبحث في ظلامها عن بعضنا يدانا....

كنا عرفنا لذة الضياع في الشوارع.

وجوهنا تحت المطر.

ثيابنا تحت المطر.

كنا رأينا في مغارات الغجر.

كيف يكون الهمس بالأصابع.

والبوح والعتاب بالمشاعر.

وكيف للحب هنا طعم البهار اللاذع....

كنا حملنا شمعنا وزيتنا.

لسيد السلام والمحبة.

obeikan.com

كنا شكونا حزننا إليه.

لعله في السنة الجديدة.

أيتها الحبيبة البعيدة.

يجمعني إليك بعد غربة.

في منزل جدرانه محبة وخبزه محبة.

نزار قباني

وما إن قرأت القصيدة حتى سارت في جسدها قشعريرة من النشوة، حتى قبلت شاشة تليفونها المحمول وضمته إلى صدرها.

وقفت هناء أمام مرآة الحمام تنظر إلى ثديها وقد انقبض صدرها داخلها، والألم يعتصره، لكنها لم تفتح فاها، أخذت تتحسس وجهها، تلمس عينيها وأنفها وتمسح وجهها بيديها وكأنها ستفقدهم أو تفتقدهم عما قريب.

جهزت العشاء لحازم زوجها كعادتها، لكنها لم تكن مثل كل يوم، فهل لاحظ أحد، هل لوحظ قلقها أو حتى تغيرها!

هناء.. تعرفين حسام زميلي في البنك، لقد حضرنا فرح ابنته وأنتِ كنتِ معي وفريد وفريدة.

نعم أتذكره..

لقد طلب مني يد فريدة لابنه باسم..

نعم إنها عائلة طيبة ومن أصل كريم.

إذن تحدثي مع فريدة بخصوص باسم.

حاضر.. غدًا بإذن الله سأتكلم معها.

وفي اليوم التالي، تكلمت هناء مع ابنتها فريدة.

إلا أن فريدة عارضت الموضوع بشدة!!

لماذا حبيبتي فهو عريس ليس به عيب؟!

لكن يا أمي، في الواقع....

ماذا يا فريدة؟؟؟ هل يوجد شخص في حياتك؟؟

بصراحة نعم..

خبريني عنه..

حكت فريدة أنه زميلها في الجامعة.. ونشأ بينهم إعجاب متبادل.

لم تجب هناء بشيء سوى أنها ستعرض الأمر على والدها حازم..

وعندما أطلعت هناء حازمًا عن الأمر.

فكر قليلاً قائلاً: فليأتِ لأراه..

وحين نقلت فريدة هذه الكلمات لـ عزيز..

شعر بمدى المسئولية الملقاة عليه، فكيف عليه أن يقنع والدها به وهو أمامه سنون طويلة حتى يستطيع أن يشتري شقة ويكون له عمل دائم.. لام نفسه كثيرًا، لم يكن يريد أن يقع في الحب إلا عندما يكون جاهزًا له، كلما حاول الابتعاد عنها ببناء أسوار إلا ما سرعان ما يقوم هو بهدمها ليقترب منها أكثر، لقد تورط في حبها دون أن يشعر، كان يراها جذابة فهي مثل المغناطيس الذي يجعله ملتصقًا بها، فقد فات الأوان لقد منحها مشاعره التي فاضت من بين ضلوعه، لقد أصبح أسير حبها، لقد أصبحت هي نفسه فكيف له أن يتخلى عن نفسه؟!

ذهب في الميعاد المحدد لمقابلة والدها، كان عليه أن يقنعه به وأنه جدير بها..

كان لقاء حازم بعزيز أشبه بجزار يقوم بسلخ الضحية..

فقد كان عبارة عن أسئلة إجابتها معروفة لحازم وله رأي مُسبق عن المقابلة.

سأله حازم: ما حالك في الدراسة؟؟

تمام الحمد لله.

سأله عن والده فعرف أنه متوفى.

سأله: إذن أنت تعيش مع والدتك!

احمر وجه عزيز وصمت لثوانٍ ثم أجاب لا أنا أعيش مع جدي وجدتي.

تسرع حازم سائلاً: هل هي متوفية أيضًا؟!

شعر عزيز بالضيق، أجابه والعرق يقطر من جبينه، مشبكًا يديه في بعضهما البعض، كانت نبرة صوته متغيرة إلى حد كبير وهو يجيبه بأنها متزوجة.

كان توتر عزيز الملحوظ وضيقه الشديد من كثرة الأسئلة ونوعيتها قد وصل إلى حازم فأراد أن يُخفف عنه:

سأله: تحب تشرب حاجة؟

شكره عزيز رافضًا.

فطلب حازم من هناء أن تعد لهما الشاي.

وتابع حازم أسئلته:

هل لك دخل تصرف منه؟

نعم أنا أعمل محاسبًا بشكل مؤقت في إحدى دور المسنين.

هل ستكمل فيه بعد انتهائك من دراستك؟؟

بالتأكيد لا، سأبحث عن عمل أفضل.

هل لديك شقة لتتزوج فيها؟؟

للأسف لا ولكن بالطبع سيكون لي في المستقبل.

هل لديك ميراث أو شيء من هذا القبيل؟ للأسف لا..

بعد أن شرب عزيز الشاي.

قام حازم من مكانه فيما معناه المقابلة انتهت.

قائلاً: شرفتنا.

شكره عزيز مغادرًا وهو حامل خيبة الأمل على كتفيهِ.

من الواضح أنه لم يلقَ أي قبول من جهة حازم الذي لم يتعاطف ولو لثانية واحدة.

وسرعان ما حدد ميعادًا مع باسم ليأتي لزيارتهم.

في الحقيقة لم تجد فريدة عيبًا واحدًا به سوى أنه إنسان عادي بالنسبة لها.

obeikan.com

باسم خريج كلية تجارة يعمل موظفًا في البنك الذي يعمل فيه والده، حيث كان وَاسطَة كبيرة جيدة له بالإضافة أنه يمتلك شقة ليست كبيرة لكن يكفي أنها تمليك، مما يعني أنه عريس جاهز.

اكتئبت فريدة وانهارت، بكت حتى تورمت عيناها، لكنها لم تستطع أن تعصي والدها ولم تجد والدتها بجانبها إذ كانت والدتها غارقة في الحزن ولم تجد من يشعر بها كما أن هناء أرادت أن تفرح بها وتطمئن عليها قبل أن يحدث في الأمور أمور.

حازم.. أنا محتاجة أزور الدكتور.

خير يا هناء ماذا بكِ؟

منذ سنة ربما سنتين أو حتى أكثر كان يوجد دمل صغير في صدري، مثل رأس عود كبريت صغير وأخذت العديد من المضادات الحيوية وقتها حتى ينصرف الدمل لكن دون جدوى ونسيت الموضوع بعد ذلك ومنذ أسبوع تقريبًا وأنا أتفحص ثديي أثناء الاستحمام وجدت الدمل الصغير أصبح مثل ثمرة طماطم طازجة..

أجاب والتعجب ظاهرًا على ملامحه..

هناء!! كيف لكِ أن تهملي في نفسك كل ذلك الوقت؟

لم أعرف لكن ربما كنت خائفة زيادة عن اللزوم مما جعلني أتجاهل وضعي.

حددي ميعادًا مع الدكتور وخذي فريدة معكِ في أقرب وقت ممكن..

في الواقع حتى أنه لم يذهب معها واكتفى أن تذهب فريدة معها لأنه لم يستطع تحمل عناء الانتظار عند الدكتور (يا له من سبب وجيه).

كان الدكتور متخصصًا في الجراحة في الستين من العمر تملأ التجاعيد والعبوس وجهه لم يكن يرتدي بالطو أبيض كعادة الأطباء، ذو نظارة طبية شفافة ورقيقة تحتها عيون ذابلة منتفخة، وشارب أبيض خفيف، كان شديد اللهجة والعصبية أثناء الكشف بل عنفها: لماذا تأخرت كل هذه المدة؟ كان حديثه بلا رحمة أو شفقة بل بالعكس كان ساخطًا وغاضبًا عليها لإهمالها نفسها وصحتها إلى هذه الدرجة.. وحين سألت فريدة متخوفة: هل يوجد ما يقلق إلى هذا الحد؟ توجه إليها الدكتور متحدثًا بكلمات مقتضبة:

إن الأرجح هو وجود ورم خبيث وأن الحالة متأخرة ربما من الدرجة الرابعة وتحتاج إلى عملية على وجه السرعة لانتزاع الورم، بل ربما الثدي كله.

وعند سماع هناء هذا الحديث وبالرغم من تخوفها السابق واستعدادها لسماع مثل هذه الكلمات، إلا أن كلمات الدكتور كانت مثل سكين شطر قلبها إلى نصفين.

دخلت هناء وأسرتها في حالة من الإحباط والاكتئاب.

كان شرط هناء الوحيد أن تفرح بابنتها وتراها عروسة قبل أن تدخل غرفة العمليات، كانت متأكدة أنها إن دخلتها لن تخرج منها سوى جثة هامدة.

كانت فريدة مليئة بالحسرة والحزن والقلق على والدتها وعلى حالها، كانت تعتصر وسط الأحداث الجارية من حولها.

وكان كل تفكير فريدة أن ترضي والدتها؛ لترى ابتسامتها على وجهها مرة أخرى، رضيت بالواقع الذي وجدت فيه دون تفكير، واعتبرتها تضحية من جانبها، ولكن هل لعاقل أن يضحي بحياته المستقبلية كلها على هذا النحو فالعواطف المنجرفة حين توظف لتحديد مستقبل فالندم الشديد هو النتيجة الأولى له.

قرأت فريدة هذه الكلمات وهي مقتنعة تمامًا أنها كتبت لأجلها: (قلبي مع إنسان حزين مسكين، في عز ما هو مش طايق نفسه واجب عليه يتحمل ناس تانيين ويبسط ناس تانين ويسند ناس تانيين).

تزوجت فريدة في خلال ثلاثة أسابيع وهي الفترة التي كانت تقوم هناء بعمل التحاليل اللازمة للعملية.

كان زواجًا عائليًا يخلو من البهجة والسعادة، وبعد الزواج.. تبدلت فريدة بشخص أخر لم تعرفه، أصبحت متجهمة، رافضة واقعها، تظهر غير ما تبطن.

●●●

obeikan.com

فريد١

في هذا الوقت كانت قد ظهرت نتيجة الثانوية العامة وحصل فريد على خمسة وثمانون بالمائة مما أهله أيضًا لكلية تجارة جامعة القاهرة بحسب التنسيق في تلك السنة إلا أن حازمًا كان يتمنى أن يكون ابنه دكتورًا أو حتى دكتورًا صيدليًا، ذهب معه للتقديم في إحدى الجامعات الخاصة الموجودة في مدينة السادس من أكتوبر.

وبالفعل قد قُبل في كلية طب الأسنان، إلا أنه لم يفرح أحد لاستقبال الخبر، فالحزن مثل طاحونة، تُطحن هناء بين رحاياها كل يوم.

كان حازم يدخر بعضًا من المال دفعها لمصاريف السنة الأولى لفريد في الجامعة، بالإضافة أنه قام بعمل جمعية كل سنة وحين يقبضها يدفع مصاريف ابنه الدراسية، شعرت فريدة أن والدها يتعامل بنوع من العنصرية لماذا اتخذ هذا القرار مع ابنه فريد ولم يفعل كذلك معها إلا أنها لم تستطع أن تعلن تذمرها خاصة أن تذمرها وتمردها الأقوى داخلها كان زواجها..

●●●

obeikan.com

obeikan.com

هناء

جاءت الممرضة لتساعد هناء في خلع ملابسها ولبس الروب المخصص للعملية، إلا أن هناء لم تنطق بحرف ولم تتحرك من مكانها.

أجابت فريدة اتركوا الروب وأنا سأقوم بمساعدتها.

أمسكت فريدة بيد هناء قائلة: هيا يا ماما لندخل الحمام لمساعدتك في تغيير الملابس إلا أن هناء نظرت إلى ابنتها والدموع تجري من عيونها أسرعت إليها فريدة أخذت والدتها في حضنها، كان رأس هناء على صدر ابنتها حيث الأولى كانت جالسة على السرير في المستشفى والثانية واقفة بجانبها على الأرض، كانت هناء تستمع إلى دقات قلب ابنتها، التي كانت تنبض نبضات شديدة متواترة، تذكرت حينها عندما كانت فريدة في رحمها بجانب قلبها، تستمع إلى دقاته، وبكل تأكيد إن حزنت الأم انتقلت إليها مشاعرها والعكس صحيح.

شدت فريدة على أيدي والدتها وشجعتها أن كل شيء سيكون على ما يرام وأنها ستخرج من غرفة العمليات بخير، تظاهرت فريدة أن الأمر بسيط، تجمعت دموعها في عينيها منتظرة فريدة أن تأذن لها بالسقوط وحين تماسكت فريدة ورفضت سقوطها،

نزلت رغمًا عنها، وعندما جاء المرضون لأخذ هناء على السرير المتحرك لقد أزف الوقت لتقوم، رفضت هناء دخول ابنتها معها إلى الحمام، أرادت أن تكون وحيدة هناك، خلعت ملابسها وهي تنظر لنفسها في المرآة، لقد ذبل جمالها وتحسرت على نفسها، لكنها حاولت أن تستجمع نفسها ودعت الله أن يكون معها ولا يتركها خاصة وقت العملية ولتكن إرادته على أي حال، نامت على السرير المتحرك وبدأوا يحركونها نحو المصعد، أغمضت عينيها والجميع حولها يترقبها حتى غابت عن الأعين.

خرج الدكتور من غرفة العمليات؛ ليتحدث مع حازم؛ مخبرًا إياه أن الورم قد توغل في الثدي كله وانتشر في الجسد أيضًا وما من حل سوى بتر الثدي؛ لعلهم يستطيعون تحجيم المرض وعدم انتشاره أكثر من ذلك عن طريق الإشعاع والكيماوي وهي الجلسات التي ستواظب عليها بعد ذلك.

أجاب حازم: حضرتك اتخذ الإجراءات اللازمة.

استفاقت هناء باكية ألمًا من فقدان أحد ثدييها مما ينقص من أنوثتها كثيرًا وخوفًا من القادم، كان الجميع حولها من العائلة، منهم من يعضدها ويؤازرها ومنهم ينظر لها بعين الشفقة والعطف ويدعو لها بالشفاء وأن يبعد عنهم هذا المرض اللعين..

خرجت هناء من المستشفى وكتب لها الدكتور بعد أن يلتئم الجرح علاجًا كيماويًا وإشعاعيًا.

كانت فريدة تلازمها دائمًا غير تاركة إياها، متناسية زواجها وكأن هذه هي حياتها ولم يتغير شيء وها هي جالسة في بيت والدها كسابق عهدها.

رن جرس هاتفها:

ألو فريدة كيف حالك؟

أنا بخير باسم.

ماما كيف حالها؟

كما هي..

ربنا يشفيها.

يارب.

فريدة.

نعم.

ألم تري أن جلوسك في بيت والدك قد طال؟

أنت تعلم الظروف يا باسم، إنها أمي ولن أستطيع أن أتركها لحالها فأنا ابنتها الوحيدة.

obeikan.com

نعم يمكنك أن تذهبي كل يوم لزيارتها أنا لا أمنعك عنها.

أعدك عندما هي تتحسن سأفعل.

وفي أثناء المكالمة دق جرس الباب، فاستأذنته فريدة أنها ستفتح الباب وتعاود مكالمته.

أنهى باسم المكالمة وهو يكتم غيظه داخله.. وكانت فرصة لفريدة أن تنتهي من مكالمة ثقيلة بالنسبة لها.

فتحت الباب لتجد صديقاتها إنجي وكرستين جاؤا لا يعلمون أنهم كانوا من المفترض أن يهنئوها على زواجها أم يعزوها فآثروا السؤال عن والدتها وكأنه السبب الرئيسي للزيارة.

دخلت كرستين مع فريدة إلى المطبخ لتعد لهم مشروبًا، فسألتها كرستين متعجبة:

(ماذا حدث يا فريدة؟ وما قصة زواجك السريع؟!!)

تنهدت فريدة تنهيدة من أعماق صدرها قائلة في كلمات مقتضبة: (تأتي المصائب جملةً).

كان باسم مثل قدر ماء يغلي وهو يدور بأفكاره:

أي زواج هذا الذي لا يتعدى أسبوعًا وها هو يعيش كأعزب مرة أخرى..

obeikan.com

وبعد أن شعرت فريدة بعدم تحمله لأكثر من هذا، قررت أن تقتسم وقتها خمسة أيام في الأسبوع مع والدتها ويومًا في الكلية لتجمع المحاضرات التي فاتتها ويومًا تذهب فيه إلى بيت زوجها لتقوم بترتيبه وتغسل ملابسه المتسخة وتحضر له بعض الأطعمة وتضعها في الثلاجة.

أما عن اليوم التي كانت تذهب فيه إلى الجامعة، لم تعد تتكلم أو تتحدث مع أحد من الشباب فكل علاقتها كانت بإنجي وكرستين أقرب الفتيات إلى قلبها تحضر محاضرات هذا اليوم وتقوم بتصوير محاضرات الأسبوع..

أرغمت فريدة نفسها على تجاهل ماضيها وعزيز، وضعت قناعًا من الخشب على وجهها، وجه ليس به أي نوع من التعبير أو الشعور أو حتى الملامح الإنسانية.

كان وضع هذا القناع على وجهها يحملها الكثير من العناء والألم، الوجه الذي علمها أن تقسو على من كان أقرب شخص لديها، أما عزيز فكاد يكره نفسه، كيف له أن تكون أمامه ولا يتحدث إليها، أو حتى يطمئن عليها، في الماضي حين تأتي إلى الجامعه توزع الابتسامات على كل من حولها، كان يحسد من حولها على هذه الابتسامة التي كان يعتبرها من حقه هو فقط، أما الآن أصبح وجهها قاسيًا، جامدًا.

كانت شهية للنظر، مُبهجة للعيون.. أما الآن فقد تبدلت تمامًا.

أصبحت جافة، ليس فيها روح ولا حياة، كانت تعي هي أيضًا ما حل بها وكأنها عاشت كثيرًا من العُمر وكثيرًا من الهم والغم أيضًا. وحين شردت قليلاً بفكرها، فكرت أنه ليس من المنصف أن يحتسب الوقت الذي تمر به وهي سعيدة والذي يمر سريعًا جدًا بسرعة البرق مثله مثل الوقت التعيس الذي تعيشه وتمر به حاليًا، فهذا الأخير لا يمر بسهولة بل يمر ثقيلاً وكأنه احتاج وقت إضافيًا ليمر مما يزيد من عمرها أضعاف ما عاشت فعليًا، فكيف تحتسب دقيقة من السعادة مثلها مثل دقيقة من المرارة التي لا تريد أن تنتهي، والزمن حينها لا يفوت.

اليوم الوحيد التي كانت تذهب فيه إلى بيت زوجها لتقوم بترتيبه وعمل اللازم، يكاد أن يقبل يديها حتى تقضي الليل معه ولكنها ترفض؛ مُتحججة بوالدتها، أما هو فلم يرد أن يضغط عليها أو يضايقها.

وبعد مرور شهرين على هذا الحال... ذهبت إلى البيت كالعادة الأسبوعية لتقوم بما تقوم به كل مرة.

ألن تقضي الليلة معي؟

أجابت: لا كعادتها.

إلا أنه صرخ قائلاً: لقد فاض بي الكيل، هل هو زواج مع إيقاف التنفيذ؟ أليس عليكِ واجبات تجاهي؟ عليكِ أن تشعري بي.

شعر وكأنه نحاس يطن أو صنج يرن، كلماته بلا فائدة معها، كلمات تصل إلى الحائط وترد إليه دون أن تصل إليها.

أخذها بالقوة، ممسكًا بيديها مثبتًا إياها على السرير وكأنه يقوم باغتصابها، كانت روحه جائعة إليها إلا أنها رفضته داخلها كما كرهت نفسها أيضًا.

بالفعل إن أصعب الأوقات حين تشعر أن الحزن والمرارة تفتك بك ولا أحد يدري، أو يشعر، كانت فريدة مثل وتر وحيد في عود، لا يُخرج لحنًا سوى الألم.

في الحقيقة هي لم تكرهه، تعرف أن التقصير الأكبر منها هي، هي التي ترفض واقعًا هو ليس له أي ذنب فيه، وإن كانت كرهت شيئًا فيه هو ما فعله معها وليس هو لشخصه، كان أكثر الأوقات حنونًا، صابرًا عليها، أما هي فغير قادرة في أيام قليلة أن تغلق صفحة عزيز وتبدأ حياة جديدة مع زوجها باسم.

وحين أبحرت في التفكير سمحت لدموعها أن تنهمر تخفيفًا لها ولِما أصابها ولا عُمرها تخيلت أن تكون هذه هي حياتها التي حلمت بها مع عزيز.

فهي متأكدة أن:

باسم لم يكن محتاجًا إلى هذه العلاقة الحميمية بقدر احتياجه النفسي إليها؛ لوجودها جانبه وبعضًا من الاهتمام به، إلا أنها كانت تتجاهله على الدوام.

مر اليوم والليل أيضًا وهي تتمنى أن يأتي اليوم التي تشعر فيه باندماجها وانسجامها مع باسم زوجها، خاصة أنه إنسان طيب القلب وغير مستحق منها ألا يكون قلبها له وله وحده.

وبعد ثاني جلسة علاج كيماوي، كانت هناء ذابلة تمامًا، فقد لاحظت هناء أن شعرها بدأ يتساقط فوضعت الإيشارب وتجاهلت تمشيطه إلا أنها بعد عدة أيام، وقفت أمام المرآة لتضبط الإيشارب فخلعته وقد شعرت بألم في صدرها وكأن حجرًا أسمنتيًا واقفًا في صدرها لا يتحرك؛ مسببًا ألمًا شديدًا داخلها لم تتحمله فقد رأت رأسها يكاد يخلو من الشعر الذي تساقط كله داخل الإيشارب وها هي ترى نفسها مثل مومياء ملامحها ووجها أصفر مثل الليمون ورأسها عارٍ من الشعر فقد بلغت داخلها من المرارة والمرض ربما مائة وعشرين من العمر.

تمددت هناء على سريرها بجسد نحيل، هزيل، السكون يملأ المكان باستثناء صوت شخير حازم الذي يعلو وينخفض مع دقات الثواني، نظرت إليه وإلى ملامحه تمنت أن تلمس وجهه إلا أنها لم ترد إيقاظه أو إقلاقه، لقد صممت داخلها أن تنام بجواره هذه الليلة، رفعت عينيها إلى الأعلى مناجية خالقها، قائلة: لماذا تحجب وجهك عني؟ ألست أنا عمل يديك؟ انظر إليّ، تحنن عليّ يا الله من فضلك، لم أعد أتحمل كل هذا العناء، يا الله ارحمني من فضلك إن أردت فاشفني وإن لم ترد فخُذني لديك أنا في أشد الاحتياج لرحمتك وعفوك ورأفتك، الطف بي!!

مر شريط حياتها أمامها، قد تسرسب عمرها من بين يديها، كانت أحشاؤها تئن وتتوجع داخلها، حياتها ضاعت ولم تفعل فيها شيئًا يُذكر، تذكرت هناء وهي بنت عمة حازم قبل الزواج كم تمنت أن يكون زوجًا لها، والدتها سعاد أخت كمال الفقي التي تزوجت من قريب لهم عاشوا واستقروا في السويس بعد الزواج وأنجبوا ثلاثة أطفال، ولدين وبنت، الابن الأكبر هو طاهر.. ثم هناء التي كانت تصغره بسنوات ثم ابنه الأصغر نبيل، عاشت هناء طفولتها كلها في مدينة السويس، وكانت أسرة سعاد من ضمن المُهجرين من مدن القناة، تم تهجيرهم مع العديد من المهاجرين الذين هُجروا قصريًا من مدن القناة عقب الهزيمة المُرة، حتى لا

يكونوا فريسة بين أنياب العدو ونقطة ضعف في قلب مصر ولذلك ارتأت السلطة المصرية أن من الأصلح للجميع تهجيرهم وتوزيعهم في شتى أنحاء المسكونة.

تركت أسرة سعاد الفقي وزوجها كل ما يملكون من أرض وبناية يقطنون فيها قد بناها زوجها له ولأولاده وقد تركوا أهل القناة كل ما لهم وهم لا يعبئون شيئًا سوي مصلحة بلادهم بعد أن انكسرت روحهم وقلوبهم على أعقاب النكسة المُرة.

كانت مدن القناة نابضة بالحياة بسكانها أصبح نهارها ليلاً في سواده وظلمته، وبعد أن كانت السمسية والغناء الوطني هو الصوت المسموع الذي يتغنى به أهلها، لم يكن يُسمع صوت هناك سوى أصوات القنابل والدخان الذي يغطي المكان، وصوت نباح الكلاب الخائفة ومواء القطط المرتعبة وقد قُتل الآلاف من الجنود، كما دُمرت الحياة هناك ، دمرت البيوت أيضًا.

أخذوا الأشياء التي يستطيعون نقلها على العربتين النقل المملوكة لهم إذ كان عمل زوج سعاد الفقي مثل أخيها كمال إلا أن الثاني يعيش في حي شبرا بالقاهرة، وهو نقل الرمل والزلط من المحاجر إلى المقاولين والقائمين على أعمال البناء..

انتقل أمين، وسعاد إلى القاهرة وأولاده طاهر وهناء ونبيل، التزمت الدولة بتوفير سكن وإعانة مادية بسيطة إلى كل المُهجرين آنذاك كما سهلت التحاق أطفالهم بالمدارس والجامعات لتخفيف العبء عليهم.

إلا أن أمين انتقل إلى حي شبرا بالقاهرة عند أخي زوجته، الذي استضافه بصدر رحب وأعطاه شقة في منزله ليقيم فيها وعندما طال الوقت لم يريدوا أن يُثقلوا عليهم خصوصًا أنهم شعروا بنوع من الاستقرار وأرادوا بعض الاستقلالية، فقاموا بتأجير مكان ليسكن فيه مع أفراد عائلته.

تخيلوا كما تخيل الجميع أنها أيام ويعودون إلى ديارهم إلا أن الأمر تجاوز السبع سنوات، عاشها الجميع بعيون مترقبة وقلوب قلقة ومتوترة ووجوه خائفة.

حتى عمت الفرحة في جنبات مصر كلها، واقتحم السرور قلوبهم، ضحكت الشوارع من فرط السعادة كما ملأ الضحك والتفاؤل أفواه وأرواح المصريين في شهر أكتوبر ١٩٧٣.

كانت الآلاف من الأسر المصرية قد فقدت عزيزًا لديها أثناء الهزيمة والنصر مثل أسرة كمال التي فقدت محفوظ أخا حازم الذي استشهد في ساحة المعركة.. اعتصر قلبهم عند معرفة

خبر استشهاده إلا أن ما عزى قلوبهم هو النصر لمصر وكان له القدرة على تضميد جراح الفراق لأهالي الذين استشهدوا فداءً لمصر وبهم استطاعت مصر رفع رأسها بكبرياء أمام العالم غير مسحوقة القلب والفؤاد.

وأنهم شهداء فداء للوطن.. فالمجد لشهداء الوطن.

وبعد النصر وعودة المهجرين إلى مدنهم ليقوموا ببنائها من جديد، عاد أمين بعدها بعدة سنوات في نهاية ١٩٧٧ مع عائلته إلى مدينته.. بعد أن تزوجت هناء فكانت عروسًا مناسبة لحازم في وجهة نظر الأسرتين.. كانت هناء تراه شابًا أنيقًا ووسيمًا إلا أنه قليل الكلام متقوقعًا داخل محارته الخاصة به، كثيرًا ما تمنت أن تخترق أسواره وتبحر داخل أعماقه..

كانت تعلم أنها أحبت زوجها من كل قلبها ولكن الحظ لم يحالفها في أن تكسب وده، ولم يعطها حازم قلبه، أو يفتحه لها، حتى جسده لم يفتح يومًا أبوابه لها حين تشعر بالاحتياج إليه أو أن يضمها إلى صدره ويحتويها داخله، عاشت حياتها لأولادها أما هم فقد كبروا ولم تشعر بدورها المهم في الحياة.. تذكرت والدها ووالدتها والشهيد محفوظ، النكسة والذل والنصر والعزة، مات والدها وكان مازال له بعض الأحلام التي لم تتحقق، إلى أخر يوم

في حياته كان مفعمًا بحب الحياة والطموح، حاله حال من دُفنت معه أحلامه في قبره ولم تتحقق يومًا.

سألت نفسها: ما هو الهدف من وجودي في هذه الحياة؟! لماذا خلقني الله؟! لماذا وُجدت من الأساس؟! أهو فقط لأتعبد له؟! لا أعتقد ذلك، الله جل جلاله لم يكن محتاجًا إلى عبوديتي بل أنا المحتاجة إليه وإلى ألوهيته وأن يشملني بعطفه ورحمته، استغفرت ربها، إلا أنها لم تجد إجابة على سؤالها، ثم قالت لنفسها: أنا من قصرت في حق نفسي، كادت حياتي أن تنتهي دون أن يكون لي حلم سوى الفوز بقلب زوجي وأولادي.

وصلت هناء إلى حالة كبيرة من الإعياء والوهن، فكان جلدها يُظهر عروقها الضعيفة والرقيقة في وجهها ويديها، وحين داهمها إحساس بالقيء وقبل أن تتحرك أخذت في التقيؤ مكانها مما أوقظ حازمًا، بالرغم من تعاطفه معها إلا أن رائحة القيء أذت أنفه، وحين سألها

ماذا بك هناء؟!

كانت هناء عبارة عن مجموعة عظام مكومة في كيس جلدي، زحفت رجفة إلى نبرة صوتها والدموع تجري على وجنتيها قائلة: فقط أشعر بالإعياء الشديد، كان الهواء الموجود داخل الغرفة

غير نقي بسبب القيء، فظهر على ملامح وجهه الاستياء، أراد أن يفتح الستائر والشباك للتهوية إلا أنه ظل مكانه بلا حراك وسألها: هل أطلب لكِ الإسعاف؟

أجابت: لا، أرادت أن تقول فقط كن بجانبي، إلا أنها لم تنطق بها ربما ملامح الامتعاض الواضحة عليه، جعلتها صامتة في حين ابتلعت كلماتها التي وصلت إلى جوفها، ازداد الشعور بالوحدة داخلها واحتلها كلية.

أجابها: لا تقلقي ستكونين بخير.

إلا أنه رآها تتدهور، خصوصًا أنها تعاني من الحُمى، سارع حازم لإيقاظ فريد ليساعده في نقلها إلى أقرب مستشفى وعندما عاد إلى الغرفة ليأخذوها وقد غابت روحها وسافرت كما غابت شمس عمرها ولم يجدوا سوى جثة هامدة مفتوحة الأعين ناظرة إلى أعلى وحين دخل فريد ورآها، صرخ صرخة دوت في أرجاء المكان سُمع صداها في الشوارع والبيوت التي تحيط بهم، دفن رأسه على حافة سريرها وظل يبكي ويشهق غير قادر على أخذ أنفاسه وعندما شاهده حازم رفعه من يديه حاول تهدئته وربت على كتفيه، كان حازم لا يستوعب ما حدث وكأنه داخل حلم أو كابوس، هل فعلاً قد فارقته بهذه السهولة كما فارقت الحياة أيضًا؟ هل حقيقي أنه لن يراها مرة أخرى؟ لقد كانت دائمًا

بجانبه، تهتم بكل شيء دون طلبات لنفسها ترعى بيته وأولاده دون تذمر، كانت من ضمن المُسلمات الموجودة في حياته مثل أمه أو أخته إلا أنها لم تكن حبيبته رغم محاولاتها المستميتة معه أن تقربه منها وتمتلك قلبه.

رأت فريدة أن البشر بمثل أعداد نجوم السماء وكل نجمة ينزل منها خيط رفيع ينتهي بورقة صغيرة شفافة مكتوب عليها اسمًا من أسماء أحد البشر، وعندما تتحرك هذه الخيوط بفعل الرياح تسقط إحدى هذه الورقات وحين تمس هذه الورقة الأرض، تفارق روح هذا الشخص جسده، صاعدة إلى خالقها، وقد سقطت ورقة صغيرة بجانبها وهي تلاحظ هبوطها من النجمة المعلقة بها، وعندما أتت عينيها على الاسم، سمعت دوي ارتطام كتاب ولكنه هذه المرة في صدرها والله وحده يعلم ماذا سقط داخلها؟!!!

استيقظت فريدة على رنين هاتفها وحين شهق فريد من شدة البكاء، عرفت الخبر دون أن ينطق بحرف، لطمت على فخديها بقوة ولم تستطع قدماها أن تحملها، تكومت في زاوية الغرفة وهي تدفن رأسها بين ذراعيها واختلطت دموعها بصراخها، في الحقيقة لا فرق بين الراحلين إن كانوا بالأمس أو اليوم أو حتى غدًا سوى الطريقة التي رحلوا بها، إذ يتركون خلفهم أنين قلوب كسيرة تحتضنها الأضلع وشوق يمزق الأوردة والشرايين.

بعد إتمام مراسم العزاء.. شعر حازم بالوحدة الحقيقية وليست الوحدة الذي نسجها لنفسه، الموجودة فقط في خياله، لم يكن مُقدرًا من تعيش معه، التي كانت تهتم بكل احتياجاته الجسدية دون أن يطلب تحمله وتتحمله في كل أوقاته..

حقيقة عجيب هو الإنسان، والأعجب أنه دائمًا غير قانع وغير راضٍ بما معه ولا يرى سوى ما ينقصه!!

وضعت فريدة لحياتها عدة قواعد، بعد وفاة والدتها بدأت ترى الدنيا بمنطور مختلف وأن الواقع أبعد ما يكون عن الأحلام وعما أرادت أن تعيشه وبالرغم أن الحياة واحدة والعمر واحد لا ثاني لهم إلا أنها حاولت أن تتأقلم مع الإحداثيات الجديدة التي طرأت على حياتها:

وكانت قاعدتها الأولى هي:

القاعدة الأولى:

القهر والظلم لهم القدرة على تحويل كل خلية جيدة إلى خلية سرطانية، تنهش في الجسد وتحتله.

وهو ما حدث بالتأكيد مع هناء..

لذلك نصحت نفسها: هونِ على نفسك..

حنان ووجدي ٣

كانت حنان ووجدي كلاً منهما يعاني داخليًا من الشيء نفسه، لا نعرف يقينًا من فيهم معاناته وألمه مضاعفًا، كانت حنان، حتى ولو مرت عليها السنين إلا أنها تعرف أنه ينقصها شيء ما، وكأنه يوجد جرح على رأسها تتحسسه باستمرار، كثيرًا ما كانت تشعر بخجل داخلها وكأنها مذنبة، وبالرغم أنها متأكدة تمامًا أنها لم يكن لها أي يد فيه، لم تكن مثل باقي البنات ولكن ما ذنبها هي، أي ذنب قد اقترفته لتكون مختلفة وفي نظر نفسها وزوجها ينقصها شيء ما..

كانت مع مشغوليات الحياة تتجاهل هذا الإحساس إلا أنه يأتي الوقت وتلعن اليوم الذي ولدت فيه، حين تشاهد هي ووجدي بالصدفة أحد الأفلام القديمة وتُلمح لهذا الموضوع بأي شكل من الأشكال مما يجعلها تبذل مجهودًا أكبر لتجاهل نظرات وجدي الخبيثة واللئيمة لها، ربما مع الوقت حول نظراته إلى كلمات ساخرة على أساس الضحك أو السخرية منها أو ربما من ذاته وهذا ما يجعلها تتجرع المرارة في كأس دائمًا ممتلئ.

أما وجدي فمعاناته في شيئين لا ثالث لهم: الأول شكه الدائم وخوفه من أن يكون مضحوكًا عليه من هذه العائلة وأن الشقة هي المصيدة التي نصبوها له.

والثاني هو فقدانه لحبيبته وندمه على قراره المتسرع بالزواج.

وجدي، أريدك أن تشتري لنا كمبيوتر وتشترك لنا في خدمة الإنترنت..

ماذا تقولين يا حنان؟ هل تفهمين فيه أي شيء أصلاً حتى تطلبيه؟

سأتعلم فكل إخواتي والجيران عندهم الكمبيوتر.. نحن لسنا أقل منهم في شيء!!

الموضوع ليس بأقل أو أكثر.. هل سنشتريه حتى يظل على المنضدة مُغطى بالتراب، ليس له فائدة حقيقية معنا..

قالت محاولةً إقناعه:

من قال لك هذا؟!! على الأقل ستتعلم فرح عليه وتكون مثل صديقاتها في المدرسة..

حاضر يا حنان.. سأتكلم مع سامح في هذا الأمر لأنه يفهم فيه، ربما يساعدنا في اختيار ماركته وخلافه..

طارت حنان من الفرحة، طابعة قُبلة عابرة على خده.

وما منه إلا أنه ابتسم نصف ابتسامة رافعًا إحدى حاجبيه؛ متعجبًا من تلك التي بكلمة تطير إلى سابع سماء أو بكلمة واحدة تُنزلها إلى سابع أرض!

●●●

obeikan.com

obeikan.com

حازم ١

كانت فريدة مستمرة في زيارة والدها ولكن بعد وفاة والدتها هناء اكتفت بالزيارة مرة واحدة أسبوعيًا، حيث تقوم بعمل وجبات شهية لوالدها ووضعها في الثلاجة وأي شيء أخر محتاج إليه من غسل ملابسه وخلافه من تغيير الأغطية وغسل الملاءات.

كان فريد ووالده حازم بقدر المستطاع جاعلين البيت نظيفًا ومنظمًا حتى لا يكونوا عبئًا إضافيًا على فريدة التي حاولوا معها مرارًا وتكرارًا ألا تعذب نفسها بهم إلا أنها أصرت الوقوف بجانبهم وعمل اللازم معهم كما ربتها والدتها هناء ولذلك تركوا لها نسخة من مفتاح الشقة حتى تدخل مباشرة حين تأتي.

وفي أحد الأيام وقبل أن تفتح الباب كعادتها كانت ترن جرس الباب قبل الدخول حتى يتهيأ من بالداخل أنها على الباب كنوع من الأدب واحترام الخصوصية:

بابا.. أنا هنا.

أهلاً أهلاً فريدة كيف حالك وباسم؟

نحن بخير أبي وأنت؟

الحمد لله..

هل فريد هنا؟

إنه في الجامعة..

الذي أثار انتباه فريدة وقتها أن حازم يستمع إلى أغنية لعبد الوهاب وكانت تعاد مرارًا و تكرارًا على مدار اليوم، ربما لم يكن مُسجلاً على الأسطوانة غيرها.

(قالولي هان الود عليه وفات وساب قلبك وحداني، رديت وقلت بتشمتوا ليه هو افتكرني عشان ينساني آاااه آاااه عشان ينساني).

تذكرت فريدة والدتها هناء وأن حازمًا بالتأكيد يشعر بفقدانها في حياته.

وبعد مرور عدة أشهر تقريبًا، ذهبت فريدة إلى بيت والدها حازم كالعادة.

إلا أنه لم يكن هناك أحد، فتحت شبابيك البيت لتقوم بتهويته كان يومًا صيفيًا مشمسًا، أشعة الشمس تملأ المكان، تتخلله بعض النسمات الرقيقة التي تداعب الوجه.

وقفت أمام الصورة العائلية المعلقة على الحائط في الصالة، تنظر إلى والدتها كم كانت طيبة ومهتمة بهم إلى أقصى حد، ذات ملامح جميلة، رقيقة كالنسمة، في الواقع لا أحد ينتبه كم جميلة وطيبة هي والدته إلا أن تفارقه ولم يستطع رؤيتها أو ملاقاتها مرة أخرى.

ترحمت عليها وبسطت يديها نحو الأعلى قرأت لها الفاتحة، ومسحت بكفيها وجهها.

ثم أدارت التلفاز على فيلم أجنبي على قناة mbc2، وعملت كوب شاي ساخن، جلست قليلاً على كرسي الأنتريه ذي اللون الأزرق، الذي اختارته والدتها عندما انتقلوا حديثًا إلى هذا المنزل، تذكرت حينها عندما أرادت شراءه، ووالدها رفض كان يرى أن الأنتريه القديم لا يزال جيدًا للاستخدام إلا أنها وبدون إخباره باعت أسورتين من الذهب كانتا في يديها لتشتري هذا الأنتريه والسجادة والستارة الموجودين في الصالة، كانت ترى أنه من المهم أن يكون كل ما في الصالة جديدًا وهو ما يجعلها فخورة بالبيت الجديد، أما هو فقد رأى أن ما فعلته ما هو إلا تحديًا له ولرفضه، مع أنها تعي جيدًا أن والدتها لم تكن تقصد ذلك على الإطلاق بل أرادت أن تفعل شيئًا جيدًا من وجهة نظرها.

وكما يقول المثل: (تتمنى له الرضا ليرضى عنها).

هزت رأسها وتمددت على الكنبة، حتى ترتشف الشاي وتقوم لتكمل عملها إلا أن الفيلم الأجنبي كان به مشهد مكرر، تجده في العديد من الأفلام لكنها لم تنتبه إلى معناه أو تتأمل كلماته إلا اليوم، وهو المشهد الذي يقوم فيه الكاهن الكاثوليكي بعمل مراسم الزواج وهو يسأل سؤاله الروتيني المعتاد: (إن كان أحد يريد أن يقول شيئًا بخصوص هذه الزيجة فليتكلم الآن وإن لم يتكلم فليصمت إلى الأبد).

تأملت هذه الكلمات وهي حاضنة كوب الشاي بيديها الاثنتين،

مُتفكرة فيها، إن كانت قد استسلمت بهذه السهولة لزواجها من أخر ولم تحارب من أجل عزيز فليس لها الحق الآن أن تُعلق خطأها على شماعة والديها اللذين أصرا على هذه الزيجة كما ليس من حقها أن تظلم نفسها وزوجها بتجاهله والشوق إلى مشاعر عاشتها مع أخر.

وبهذه الكلمات خطت **القاعدة الثانية** لها:

لا تعيشي في دور المظلومة أو الضحية، ما دمتِ استسلمتِ منذ البداية، ولذلك لا تظلمي من يعيش معكِ.

كالعادة دخلت غرفة نوم والدها ووالدتها رحمها الله.

ولكن ما أثار انتباهها هو وجود ذلك الصندوق الخشبي الصغير المُطعم بالمشغولات النحاسية الدقيقة، فوق مكتب حازم لكنه من الغريب أن القفل كان مفتوحًا.

حاولت أن تلهي نفسها عنه وأن تشغل نفسها بأي شيء أخر حتى لا تخترق خصوصيات والدها إلا أن الفضول قد امتلكها كلية.

ترددت مرارًا وتكرارًا حين كانت تقترب من الصندوق تارة وتبتعد عنه تارة أخرى.

ولكنها جمدت قلبها، استجمعت قواها، اتخذت قرارًا بأن تفحص ما يحمله هذا الصندوق وترضي فضولها، وهي تراه منذ ولادتها مغلقًا وممنوع أحد أن يقترب منه وكأنه منطقة عسكرية.

وها هو يحمل دفتر يوميات وبعضًا من الأشياء الأخرى:

فتحت فريدة الدفتر متشوقة لما تراه، إلا أنها عندما قرأت بعضًا من كلماته حتى شعرت بغصة في قلبها وشعرت به يعتصر من هول الصدمة حين قرأت:

(وعند بزوغ الفجر كل يوم وحين يعود القمر من حيث جاء أوصيه أن يخبرك، كيف يبحر حبك داخلي وتلاطمني أمواجه؟

كيف أن حبك ينخر في عظامي ويسحقني بلا هوادة فلترفقي، كم من مرة احتضنت ذكرياتنا واعتصرتها في صدري بقوة كما اعتصرتني داخلها)..

بلعت ريقها بصعوبة، وفتحت صفحة بتاريخ (أكتوبر ١٩٦٨)

إليانا... أنا في انتظارك مهما مرت السنون.. أعلم أنه كان من الصعب رؤية شباب عائلتك في المعتقل بعد النكسة المرة وهم لا ذنب لهم وبالفعل كنت أشعر بك وبمشاعرك، فإحساس أنكم غير مرغوب فيكم وأسلوب التخويف والاعتقال من السلطات هو أكبر دافع للهجرة ولكنك كان بإمكانك أن توافقي على زواجنا وتظلي في مصر ومعي للأبد..

لا أعرف لماذا استسلمتِ لوالدتك في قرار الهجرة؟؟

لقد تجرعنا جميعًا الألم والذل أعلم يقينًا أن النكسة ما تركت لنا سوى روح منكسرة، نفس صغيرة، قلب كسير..

جعلت نهارنا ليلاً ثقيلاً، كان ليل متواصل نعيش فيه لا ينتهي.

لكننا لم نتخل عن بلدنا في أكثر الأوقات التي كانت تحتاجنا بجانبها، ندافع عنها بدمائنا.

لقد حدثتك قبلاً عن محفوظ أخي، لقد استشهد في المعارك

الدائـرة بيننـا وبـين إسـرائيل ولـكِ أن تتخيلـي حالنـا وحـال والـدي ووالدتـي..

ليتـك كنـتِ بجانبـي أبـث شـكايتي إليـك، فبعـدك أدركـت فقـط كيـف أبكـي..

حـين ابتعـدتِ تمنيـت أن أدفـع سـنيني القادمـة مقابـل يـوم واحـد أقضيـه بـين يديـكِ، كـم تمنيـت أن يعـود بـي الزمـان لأكـون أكثـر حسـمًا وتصميمًـا للـزواج بـك.. إن كان حبيبتـي الحـب مثـل ينبـوع ميـاه نقيـة فأنـا مغمـور فيـه إلـى آخـره.

قلبت فريدة بعض صفحات الدفتر لتجد.

أكتوبر ١٩٧٣

لقـد انتصرنـا حبيبتـي ومتأكـد ومتيقـن أنـك سـعيدة بهـذا النصـر كـم تمنيـت أن تكونـي هنـا معـي نتشـارك أفراحنـا، نتقاسـم أحزاننـا فقـد ولـدتِ علـى أرض هـذا البلـد وأعلـم مـا هـي مصـر بالنسـبة لـكِ، مصـر انتصـرت عـادت كرامتهـا إليهـا وبالرغـم مـن الهزيمـة المُـرة إلا أننـا أخيـرًا رفعنـا رأسـنا بـكل العـزة والفخـر، عـادت مصـر كسـابق عهدهـا مرفوعـة الهامـة بـكل كبريـاء أنـا في انتظـارك، ألـم يحـن الوقـت لتعـودي، لقـد افتقدتـك كثيـرًا.

إليانا، إن كان حبي لكِ هو منفى لحاضري فأنا أطلب حق اللجوء والبقاء فيه إلى مدى الأعوام، إما أن ترحلي أو تعودي فقلبي وطن لكِ، ولكِ وحدك.

إليانا، مازلت أتذكر كل شيء عنك ومعك حتى مشاعري مازلت أستدعيها، عندما كانت تأتي عيني في عينيك، كنت أشعر بقشعريرة تسري في شراييني وأوردتي تصل إلى أطرافي، كنتِ جذابة لدرجة أن جاذبيتك ونعومتك كانت ترهق مشاعري كثيرًا.

بعدكِ لم أجد من يشاركني كتابي الذي أقرأه ويناقشني فيه، كنت أستمتع معك بقراءة الروايات.. أما الآن فكل شيء بلا طعم.

وفي صفحة أخرى:

هل تتذكرين الإيشارب السماوي خاصتك ومنديلك الذي يشبهك كثيرًا ناعم وحريري مثلك، لا أنسى يوم ما أثنيت عليكِ بهم وأنتِ صممتِ أن آخذهم ذكرى منك، رفضت في الأول لكني أنا مدين لكِ بإعطائي إياهم.

عندما يجتاحني الحنين أتلمسهم وأستنشق رائحتك فيهم وبالرغم أن رائحتهم لم تعد كسابق عهدها قوية إلا أن مجرد لمسهم، لكِ أن تتخيلي ما يحدث داخلي.

لـكِ وحـدك قـد قطـرت عينـي وكـم تمنيـت أن أجمـع تلـك القطـرات لأزيـن بهـم عقـدًا ترتدينـه علـى عنقـك، أو أجمعهـم في كأس وأهديـه لـكِ.

سـهمت فريـدة مـن تلـك الكلمـات ونظـرت إلـى داخـل الصنـدوق ممسـكة بالإيشـارب وهـو ذو لـون أزرق سـماوي طويـل وبـه بعـض الشراشـيب في نهايتـه.

أمـا المنديـل فهـو مـن الحريـر الطبيعـي، ناعـم، بنفسـجي اللـون، صغيـر، آخـذًا هيئـة مثلـث.

وفي صفحة أخرى تحمل تاريخ أكتوبر ١٩٧٧

هـل تعلمـين يـا إليانـا، لقـد تزوجـت لـم أسـتطع الصمـود طويـلاً أمـام إقنـاع والـدي ووالدتـي لـي بالـزواج، لكنـي أريـدك أن تتيقنـي فـكل النسـاء والفتيـات الذيـن عرفتهـم في حياتـي لـم يكونـوا في نظـري سـوى أنصـاف.. أنـتِ الوحيـدة التـي كانـت وظلـت في عينـي امـرأة كاملـة.

فلتعلمـي أنـكِ أعـز عليّ مـن نفسـي ومـن ناسـي ومـن أهلـي ومـن عمـري.

منذ أن تركتيني وأنا يوميًا أستيقظ ساعة مبكرًا عن ميعادي المفترض أن أستيقظ فيه، هل تعلمين لماذا؟! فقط لأجلس معكِ أنا وأنتِ، قبل أن يستيقظ كل من حولي أحكي معكِ وأكتب لكِ ما يجول بخاطري.. أشاهد معكِ شروق الشمس كما أتمنى إشراقك على حياتي من جديد.

لقد كنتِ بيتي وموطني وبعدك أنا أحيا غربةً.

إن لم تريدي أن تشرقي فلتأتِ إلى غروبي وتطلعي.

لقد أذاب الحنين قلبًا ضارعًا صابرًا آآآآه يا حبيبتي..

شعرت بالعطف على حال والدها!! كما أنها تفاجأت أن تخرج منه هذا الكم من المشاعر والكلمات الرقيقة!!

وقلبت فريدة صفحة أخرى لتجد:

إليانا أنا في أشد الاحتياج لوجودك جانبي، كل ما أحتاج إليه هو أن تلصقي جسدك الضئيل فيّ؛ لأشعر بدقات قلبك تدق فيّ، وقلبي يدق فيكِ، أنتِ شمس عمري التي مازالت غائبة، إلا أنكِ مازلتِ محفورة داخل قلبي حفرًا غائرًا ولا أحد غيرك.

لم أكن مع غيرك بمثل هذا الانسجام، لم أعرف اثنين متشابهين في حياتي مثلنا، كان يسعدني وجودي معك مكشوفًا

بأخطائي، دون تكلف.. أنتِ الوحيدة التي تشعر بي وتعرف نقاط ضعفي كنت عريانًا أمامك دون تمثيل أو العيش بشخصية أخرى غيري أنا..

لقد كانت خريطة قلبي مرسومة على كف يديكِ وتعرفين كيف تبذرين بذور السعادة والبهجة في حياتي.

وفيما هي تقرأ علمت لماذا والدها لم يكن منفتحًا أمام والدتها هناء بل كان مخلصًا لماضيه كل الإخلاص، كما كانت تعرف ببعدهم الجسدي عن بعضهم البعض فمنذ خمس سنوات أو أكثر كانت هناء كثيرًا ما تترك غرفتها لتنام مع فريدة في حجرتها كما تعوّد حازم أن يتقوقع داخل نفسه مكتفيًا بأوراقه وذكرياته، فكرت فريدة في القاعدة الثالثة.

القاعدة الثالثة التي وضعتها فريدة لنفسها:

في الأغلب أن كل إنسان في حياته ثلاثة أشخاص.

وهو أنه أحب شخص ما، واتحب من شخص ثاني، وأخيرًا قد تزوج من شخص ثالث.

لذلك لست أنتِ الوحيدة يا فريدة، هوني على نفسك.

واستمرت فريدة في فر صفحات دفتر اليوميات.

منذ أن غادرتيني إليانا وأنا واقف مكاني، توقف بي العُمر والزمن، لم أعد أرى غيرك ولا أن أحن لغيرك.

لقد دخلت أنا والحنين إليكِ في معركة، لكن دعيني أخبرك لقد قتلني وألقاني أرضًا منتصرًا عليّ وها أنا ملقى مجروحًا، غارقًا في أشواقي إليكِ.

كم تمنيت أن أنطق اسمك بملء حنجرتي ولكن يكفيني أن تعيشي معي في خيالي وأوراقي، على أمل رؤياكِ في يوم ما.

فرت صفحات الدفتر حتى وقعت عيناها على صفحة مكتوب بها..

هل تعلمين يا إليانا، لقد توفت زوجتي هناء قد حدثتك عنها قبلاً، تاركة لي أكبر شعور بالندم على إهمالي إياها، لم أكن مقصرًا معها ماديًا، لكني تعاملت معها كإحدى المُسلمات الموجودة في حياتي ولم أعطها أي انتباه أو اهتمام، بل بالرغم من عدم وجودك إلا أني أعطيتك كل الاهتمام والحب، عشت معكِ في خيالي أكثر بكثير مما عشت واقعي، تحدثت إليكِ كما لم أتكلم مع أحد قط، حكيت لكِ أدق تفاصيل حياتي لتعيشي معي لحظة بلحظة، مشكلتي الأكبر أنني مازلت أتألم ألمًا يسير في عروقي، كنتِ لي كظلي الذي يتبعني على الدوام..

أين أنتِ الآن يا إليانا هل تتذكرينني من الأساس؟!!!

أم لم أكن في حياتك إلا صفحة قمتِ أنتِ بطيها واستأنفتِ حياتك بعدها.

لم أستطع أن أعرف إن كنت بك قد انتصرت على الأيام أم بكِ كانت خسارتي الفادحة لأيامي!!

لقد أضعت حياتي وقلبي يبكيكِ؛ منصرفًا عن كل من حولي، فقط عشت لكِ وبكِ لكن أين أنتِ الآن حبيبتي؟

لقد وجدت فريدة **القاعدة الرابعة:** وداعًا للماضي.

هي إن أراد الماضي أن يتواصل معي لن أفعل بل سآخذ حاضري في أحضاني؛ متطلعة إلى مستقبلي، في ماذا سيفيد الندم غير أن يزيد من وجع القلب أضعافًا!!

لقد كانت حياة حازم أشبه بسماء ملبدة بالغيوم، ربما كان يظهر فيها شعاع من نور بين حين وأخر إلا أنه سريعًا ما يختفي خلف الضباب.

وفيما كان كل تركيزها يصب في الورق المكتوب بين يديها إلا أنها استفاقت على صوت صرير باب يفتح ثم يُغلق، انتفضت يداها وقامت مسرعة بترك الدفتر مكانه وذهبت تجاه السرير مُتظاهرة بتغيير ملاءته وترتيبه.

إنه فريد، أهلاً أهلاً فريدة، طابعًا قبلة على جبينها، كيف حالك حبيبتي؟

أنا بخير فريد.

كيف حال دراستك؟

ليست بأفضل حال وإن كانت جيدة في العموم.

فريدة، ما رأيك لو أدعوكِ إلى إحدى الندوات الثقافية المقامة في الجامعة؟

بالطبع بكل سرور، أنت تعرف بولعي لمثل هذه الندوات، ولكن ما هو موضوع الندوة:

عن الشعر والأدب في العصر العباسي.

ابتسمت ابتسامة عريضة تملأ شفتيها ووجهها قائلة:

يوجد العديد من الأدباء في هذا العصر، لقد كان عن جد مزدهرًا جدًا في الفن والأدب، لقد ذكرتني بالحلاج!

من هو هذا الحلاج؟

إنه شاعر صوفي من العصر العباسي وذاعت عنه الأقاويل،

هل تحفظين له شيئًا؟

obeikan.com

ابتسمت ابتسامة مشرقة، يملؤها الحب والذكريات، لقد كنا نُغني له بعضًا من أبياته في الجامعة، دندنت وهي تبدأ بنطق الحروف:

والله ما طلعت شمسٌ ولا غربت إلا وحبّك مقرون بأنفاسي ولا خلوتُ إلى قوم أحدّثهم إلا وأنت حديثي بين جلاسي ولا ذكرتك محزونًا ولا فَرِحًا إلا وأنت بقلبي بين وسواسي ولا هممت بشرب الماء من عطش إلا رَأَيْتُ خيالاً منك في الكأس ولو قدرتُ على الإتيان جئتُكم سعيًا على الوجه أو مشيًا على الرأس ما لي وللناس كم يلحونني سفهًا ديني لنفسي ودين الناس للناس

دندن معها فريد بالرغم من عدم معرفته بالحلاج أو كلماته،

كانت فريدة في كل مرة تغني هذه الكلمات أو حتى تسمعها، كانت المشاعر والأحاسيس تجرفها ربما كإعصار، كانت ترى نفسها، ترتدي جلبابًا مثل الدراويش وروحها متحررة تمامًا من جسدها، كما هو حال شَعرها وشِعرها أيضًا، ترقص وتغني في عالم آخر ليس له وجود إلا في خيالها هي وحدها.

إلا أن هذه المرة ذهبت بعيدًا مع الكلمات إلى حيث يوجد والدها حازم وحبيبته السابقة والأخيرة إليانا.. ربما كانت كلمات الحلاج مُطابقة لحالته!!

وبعد أن تركت فريدة بيت والدها ذاهبة إلى بيتها، ظل السؤال الذي راودها يراودها مرات ومرات،عند قراءتها إلى الصفحة الأولى من يوميات والدها وهو:

إن كان بالفعل ذاق نشوة الحب، وبداخله هذا الفيض من المشاعر وإن كانت لا تراها !! إذن لماذا لم يشعر بها؟ ولماذا لم يقدر حبها لعزيز!!

هل كل شخص يرى أنه فقط الذي استطاع أن يحب حبًا حقيقيًا، وكأن الحب حكر لهم هم فقط!!

●●●

obeikan.com

باسم

في المساء فريدة تشاهد أحد الأفلام الأجنبية على إحدى القنوات وباسم أمام شاشة اللاب توب يترجم أحد الكتب من الإنجليزية إلى العربية وكانت مندمجة تمامًا في مشاهدتها إلا أن قلبها وثب بين أضلعها حين استمعت إلى الصوت الصادر من عند الجيران على إحدى أغاني منير التي كانت تستمع وتستمتع بسماعها مع عزيز، قامت من مكانها مُتجهة إلى البلكونة، رفعت عينيها إلى السماء كتبت حروف اسمه بالنجوم في حين تساقطت دموعها إذ قد مُس وتر حميم في قلبها.

متناسية لكل قواعدها!!

إلا أنها وضعت قاعدة أخرى.

القاعدة الخامسة:

تخلصي من كل الأشياء التي تذكرك بالماضي، لا تستمعي إلى الأغاني التي كنتِ تسمعينها معه وحتى خاتمه الذي ظل في أصبعها خلعته لأول مرة منذ أن وضعته في يديها.

ستسد كل شباك ممكن أن يطل على الماضي حتى تُنار حياتها من جديد، مودعة ظلم الحب وظلال الذكريات.

فهي لن تكون مثل والدها الذي لا يعيش إلا في عالم من الخيال، باكيًا على الأطلال، مُعطيًا كامل مشاعره إلى امرأة لم تكن موجودة بجانبه من الأساس، مشاعر كانت من حق زوجته هي فقط، مُتجاهلاً إياها بكل ما تحمله الكلمة من معنى، ولكن هل لمشاعر الحب أن تُوجه حيثما نريد!!

أما القاعدة السادسة التي وضعتها:

إن خيانة المشاعر هي أكثر قسوة ووجعًا من خيانة الجسد؛ لذلك لا تكوني هذه أو تلك.

وهذا ما عاشته هناء وتجرعته مع حازم دون شكوى.

تمنت فريدة أن تكون امرأة عاملة على عكس والدتها لم تحب أن تكون نسخة مُصغرة منها بالجلوس فـ البيت تنتظر المصروف من زوجها كل أول أسبوع لشراء حاجيات البيت، وعملها الوحيد هو الطبخ والتنظيف، والمتعة الوحيدة في حياتها هي الجلوس مع الجيران أو مكالمات التليفون مع الأقارب..

حاولت مرارًا وتكرارًا الإلحاح على زوجها أن ترسل سيرتها الذاتية لعدة شركات، فقط لو أنه أو والدها توسط لها للعمل في البنك، سيكون الأمر سهلاً، إلا أنه رفض رفضًا قاطعًا.

كانت تفكر في داخلها، ما كل هذا الهراء، هل لأنه زوجها يتحكم بها بهذه الطريقة؟!

كان سببه الوحيد في اعتراضه على العمل هو أنه يغير عليها، يريدها له وحده، ولا يتحمل أن تعمل في مكان به رجال، لم يتحمل أن يرمقها أي رجل كان بنظرة ما..

في البداية أحبت كلماته وهذه الغيرة، كان يعشقها فعلاً من صميم قلبه، أحب رائحة جسدها إن كان عطرًا أو عرقًا، كانت سخونة أنفاسها تلهب جسده وتذيبه بين يديها، **إلا أنه لم يكن يعلم (أن كثيرًا تُركوا إما جرحى أو قتلى في طريق العشق)** إلا أنها مع الوقت وصلها شعور أنه فقط يحب أن يمتلكها مثل الملابس أو السيارة أو أي شيء من هذا القبيل، وكأنها ملكية خاصة له ليست بإنسان مستقل له آرائه وأفكاره، فهي فقط تابع له لا أكثر أو أقل.

حاولت معه بكل الطرق تحايلت عليه تارة وبكت وانتفضت تارة إلا أن كل أساليبها كانت بلا جدوى حقيقية معه.

ومع الوقت قد تموهت فريدة تمامًا، كان كل يوم يمر عليها يفقدها شيئًا من فريدة، من نفسها، إحساس ظل يراودها أنها لم تكن شيئًا يُذكر في هذه الحياة، فقدت شخصيتها وبصمتها في

الحيـاة ومـا هـي إلا أداة لإرضـاء كل مـن حولهـا، كان الإحبـاط قـد تسـلل إلـى روحهـا فلـم يكـن هنـاك دافـع قـوي للحيـاة فكانـت تسـتيقظ لتعـود للنـوم ثانيـة، لا شـيء مهـم لتقـوم بعملـه فتلجـأ للنـوم حتـى يمـر عمرهـا دون تفكيـر فيمـا مضـى.

مـرت فتـرة طويلـة ولـم يرزقهـا اللّه بـأي أطفـال وذهبـت هـي وباسـم إلـى العديـد مـن الأطبـاء إلا أنهـم قـد أجمعـوا أنـه لا يوجـد مـا يثيـر القلـق خاصـة أنـه لا يعانـي أيًـا منهـم أي مشـكلة تمنـع الحمـل..

حتى.....

رزقهـا اللّه بابنتيـن تـوأم يشـبهانها إلـى حـد كبيـر ولأنهـن بنـات أعطاهـا هـو الحـق في تسـميتهن واختـارت سـيلين لأنهـا كانـت مُحبـة لأغانـي سـيلين ديـون خاصـة بعـد أغنيتهـا في فيلـم تيتانيـك وتعنـي القمـر باللغـة اليونانيـة والابنـة الثانيـة أسـمتها تيـا وهـي علـى اسـم الملكـة تـي زوجـة الملـك أمنحتـب الثالـث ووالـدة الملـك أخناتـون (وهـو أول مـن دعـا للتوحيـد وعبـادة الإلـه الواحـد في مصـر الفرعونيـة)، في بدايـة حملهـا كانـت في شـدة السـعادة وعندمـا اقتـرب الحمـل مـن نهايتـه عانـت كثيـرًا، وفي ولادتهـا أيضًـا، إلا أن المعانـاة أصبحـت عشـرات الأضعـاف بعـد الإنجـاب، خاصـة أنهـا تعلـم أنـه كـم تـاق باسـم لإنجـاب ولـد، باسـم لـه ثلاثـة إخـوة مـن الذكـور وكلاً منهـم

لديه ولدين، إذن لماذا هو مختلف عنهم؟ لم يكن يتحمل مسئولية وعبء تربية البنات، كان باسم مثلاً واضحًا أنه بالرغم من التقدم العلمي والمستوى المادي والاجتماعي إلا أن الأصل واحد والعقل واحد لدى أغلب الرجال.

كان انشغالها بهم كبيرًا حتى أنها نسيت كل شيء الشغل والماضي ولم تتذكر سوى والدتها هناء..

في وقت الضيق والضغوط ما عليها سوى أن تمسك بصورتها تحدثها:

لو كنتِ ههنا ما كنت عانيت كل هذا العناء.. لم أعرف شيئًا عن الأطفال والتعامل معهم.. تعبت كثيرًا.. إنها بالفعل مهمة شاقة، لو كنتِ ههنا لكان لي ملجأ ألتجئ إليه.. افتقدتك كثيرًا ماما.. رحمكِ الله مقبلة صورتها سنتقابل في الجنة إن شاء الله.

أما باسم فلم يكن يعطي أي اهتمام بأطفاله الرُضع أو مساعدة زوجته بل كان كل ما يهتم به هو عمله في البنك وعمله كمترجم للكتب في إحدى الشركات وهو العمل الإضافي الذي كان يقوم به من المنزل، ومع ذلك كان يريدها حوله على الدوام تهتم به تحلق حوله مثل حمامة تبهج نفسه هو فقط لا تهمله ولا تنشغل عنه وعن احتياجاته أراد أن يكون هو الأول والأخر في حياتها.

خسرت فريدة الكثير من الوزن بعد الولادة على عكس أغلب السيدات وازدادت نحولاً، شعرت وكأنها ثور في ساقية ما بين ابنتيها ودوامة السهر التي تعاني منها والأعمال المنزلية التي كانت تقوم بها وعبء الاهتمام الزائد بزوجها الذي كان يطالبها به على الدوام بالإضافة إلى والدها وفريد.

كثيرًا ما كانت تناجي ربها قائلة: من أنا حتى أعاتبك يا رب! فأنا لا شيء، أصلي من تراب ولكن سامحني يا إلهي، كثيرًا ما أسأل نفسي.. إن كنت يا الله تعلم بإمكانياتي ومجهودي القليل إذن لماذا أعطيتني ابنتين توأم.. اغفر لي من فضلك عتابي عليك أنت تعلم كم أنا إنسانة ضعيفة تحتاج إليك فلا تبتعد عني بل أعطني القوة من عندك والصبر.

كان شعور بالوحدة يغمر فريدة، لم تكن تتمنى أي شيء في هذه الفترة سوى أمنية واحدة ظلت تراودها:

تمنت أن تركب أتوبيسًا لم يكن فيه أحد سواها وسائق الأتوبيس، كانت ترى نفسها جالسة على الكرسي بجانب الشباك والأتوبيس يسافر من مكان إلى أخر ولا يتوقف البتة، تتأمل الأرض وما بها من معالم وبشر أثناء النهار وعندما يحل الظلام تنظر إلى السماء المظلمة وهي مرصعة بالألماس التي تنيرها

وتضيف عليها سحرًا خلابًا، إن كان الأتوبيس هو العمر المنقضي على الأرض تمنت أن تعيش فيه وحيدة.

حتى تهرب من عبء الحديث والتظاهر بإبداء الاهتمام بمن حولها، كان بالفعل عبئًا ثقيلاً على كاهلها ينهكها.

بالرغم من انشغالها الزائد مع ابنتيها إلا أنها لم تنقطع أبدًا عن الزيارة الأسبوعية لوالدها وأخيها سوى أيام تعافيها من ولادتها.

●●●

obeikan.com

obeikan.com

فريد ٢

فريدة!!! أنتِ ههنا؟

تعالي أريد أن أريكِ شيئًا.. فتح اللاب توب، ثم فتح الصور قائلاً إيه رأيك؟

أخوكِ بيعرف يختار أم لا؟؟

ابتسمت فريدة قائلة:

إنها جميلة بالفعل، الصورة تجمعه مع بنت مبتسمة تقف بجانبه، مرتدية بنطلونًا جينز أزرق وشيميز قصير بالكاد يصل إلى وسطها لونه كحلي داكن.

أفهم من ذلك أنك نويت الزواج.

أكيد فريدة.. خصوصًا بعد أن استأجرت محلاً صغيرًا سأفتحه عيادة للأسنان والشقة موجودة، إذن لا يوجد ما يعطل، ألف مبروك حبيبي، أخيرًا سنفرح بك.

أريدك أن تتعرفي عليها في أقرب وقت ممكن..

بالطبع بكل سرور.

●●●

obeikan.com

obeikan.com

حازم ٢

في يوم ربيعي مشمس وصل طرد بعلم الوصول إلى بيت والد حازم ليصل إلى يد حازم كمال الفقي..

رن هاتف التليفون المحمول لدى حازم الذي وصل من العمر عتيًا أصبح وجهه مليئًا بالتجاعيد مثل الزبيب المجفف ومنذ وفاة هناء أخذت صحته في التراجع لا يستطيع أخذ بضع خطوات بدون العصا الخشبية التي يتكئ عليها لتعينه على المشي، كان عند الغروب يمتنع عن تناول الطعام والشراب حتى لا يُحمل نفسه عناء وعبء القيام من النوم عدة مرات للدخول إلى الحمام.

وعندما جاءه خبر وصول طرد له وباسمه راودته كثيرًا من الأحلام إلا أنه لم يرد أن يوهم نفسه ويستغرق في أوهامه كثيرًا، أخذ تاكسيًا لأنه لم يستطع القيادة وأعصابه متوترة ووصل بيت والده الذي هو الآن بيت أخيه والد وجدي بعد وفاة والده.

لم يستغرق الوصول سوى أكثر من خمس عشرة دقيقة، وعندما استلم الطرد كان بأسم من تمنى أن يراها أو يرى اسمها أو أي شيء منها طوال السنين العديدة الماضية، استلم الطرد ووقع بالاستلام.

كانت مشاعره على أوجها.. لم يحتمل العودة إلى البيت دون فتح الطرد وفي نفس الوقت يريد أن يفتحه وهو في غرفته دون أن يكون أحد معه..

احتضنه وكأنه عاد خمسين سنة إلى الوراء حيث كان طالبًا في الجامعة..

ركب تاكسيًا وهو يقرب الطرد من أنفه أراد أن يشم عبير من تركته دون رجوع أو حتى سؤال.. التي هاجرت دون عنوان إلى أرض الله الواسعة..

دخل غرفته تاركًا عصاه جالسًا على سريره وبدأ يفتحه..

كان يحوي بداخله دفترًا والعديد من الصور لها، كان في أشد أوقاته حيرة يريد أن يقرأ ما كتبت يريد أن يُمعن النظر في صورها ومدى اختلاف شكلها في مراحل عمرية مختلفة..

شاهد صورها أولاً، كانت صفة وحيدة مشتركة في كل صورها هي أنها مازالت جميلة ورشيقة بالإضافة أنها حبيبته وعمره المفقود، كم تمنى من الله أن يطيل عمره ليراها ويقابلها ولو لمرة واحدة، يطمئن عليها وعلى حالها..

كانت صورة لها وقد ازدادت فيها نحافة إلا أنها مازالت في العشرين من عمرها فهي ذات ملامح شرقية جميلة عيون سوداء

واسعة وشعر أسود لامع طويل بشرتها بيضاء نقية، وصورة أخرى وهي في عرسها، كم كانت جميلة، أنيقة ورقيقة فستانها أبيض بسيط من الدانتيل والستان وشعرها منسدل على كتفيها ويعلو رأسها تاج صغير جعلها كالملكات، نظر إليها متأملاً تمنى لو كان هو الرجل الذي يقف بجانبها، مُلتفًا بيديه حول وسطها.

وعدة صور لها مع أولادها الاثنين وصور لها وهي في الثلاثين والأربعين والخمسين من العمر وصورة وهي تشبهه تمامًا وما آلت إليهم صحتهم هما الاثنين في الآونة الأخيرة لم تمر صورة من بين يديه ومن عينيه دون أن يحتضنها ويقبلها ويمرر أصابعه عليها وهي في كل حالاتها وأوضاعها والتغيرات التي طرأت عليها فهي لا زالت حبيبته وصديقته بل لصيقة وخليلة عمره كله.

رتب الصور ووضعها على صدره داخل قميصه وفتح الدفتر التي تزداد صفحاته عن المائة صفحة من الحجم الكبير كُتبت كلها بالعربية.

حازم أحببتك يقينًا من صميم قلبي وأعلم يقينًا أنك أيضًا أحببتني، كما عشقت مصر بلدي الأول والأخير، إلا أنها للأسف لم تبادلني الحب بل انقلبت عليّ، مقتتني ورغم أنف الجميع فأنا مصرية يهودية عربية حتى النخاع وكما تتمنى الابنة العودة إلى

حضن أمها التي قست عليها كما الزمن أيضًا فأنا أتمنى الرجوع إلى أمي مصر مقبلة ترابها، سأعيش وأمل العودة يراودني في استيقاظي ومنامي، أتذكر جيدًا عندما بدأت السفينة في الإبحار من ميناء الإسكندرية شعرت أنني بدأت أفقد أشياء داخلي فقدت قلبي وتركته هناك وكلما ابتعدنا فقدت أشياء أخرى حتى وطأت قدمي أول ملجأ للمهجرين العرب في فرنسا كنت قد أصبحت بلا روح أو قلب نابض.

كل البلاد قد فقدت جاذبيتها في عيني، كانت مصر تحمل في طياتها الأديان الإبراهيمية الثلاثة كما كانت مركزًا للثقافات المتعددة، عرفت أنها تميزت في الأربعينات والخمسينات من القرن الماضي بالتعدد الشديد وكانت تحمل الجميع، كان من الممكن أن يجلس على طاولة واحدة العديد من الجنسيات من مصري ويوناني، أرماني، سويسري وإنجليزي والكل متناغم ومنسجم، كان الحب والاحترام يعمل على إذابة الفروق بينهم، لم تكن القاهرة عاصمة لمصر فقط بل كانت عاصمة للعالم أجمع، كانت ملجأ لكل إنسان مطرود من مكانه.

هي الأرض التي ولد فيها موسى النبي وتربى على أرضها، كما عاش فيها النبي ارميا.. وبها معبد موسى بن ميمون الذي عاش على أرضها أيضًا.

أنت تعلم كم عانى اليهود من النازية فكانت مجرد سماع كلمة نازية، تُذيب عظامنا بل تسحقها سحقًا.. عانينا أشد معاناة ولكننا مع كل هذا كان يهود مصر محتمين في ذلك الحضن الدافئ الذي لا يرذل أحدًا بل يضم بشعبه كل غريب وينصهر مع تلك الحضارة العظيمة التي تأثر كل من يعرفها عن قرب.

إلا أن كل شيء في مصر والدول العربية قد بدأ يتغير مع ولادة إسرائيل (أرض الميعاد التي في نظري لم تعد بشيء سوى العذاب والألم لكل يهودي عربي).

ناهيك عن النظام الناصري آنذاك الذي سعى وتفنن في تضييق الخناق على كل يهودي عربي وأجنبي داخل مصر..

لقد عانينا يا حازم أنا وأسرتي وأهلي والعديد من اليهود العرب أشد معاناة من ولادة إسرائيل، فهي لم تكن ولن تكون بلدي.

بالرغم من أنها كانت خيارًا سهلاً لأن نرحل إليها كما هاجر إليها العديد من أهلنا وأقاربنا وصلتنا المعلومات بعد ذلك أنهم كانوا يسكنون خيمًا من الصفيح التي كانت أشد قسوة عليهم وحرارة في الصيف وعلمنا أن عمي وخالتي قد توفوا هناك غير قادرين على مواصلة حياتهم في هذه الظروف الصعبة بعد أن كانوا

يعيشون في القاهرة وضواحيها التي كانت مليئة بالمباني الأنيقة التي تضاهي مباني باريس الفخمة والتي تعج بالمحلات الراقية والناس الودودة إلا أننا فضلنا الولايات المتحدة عليها لقد عانينا الكثير من الوقت والجهد لإنهاء أوراقنا والسفر من فرنسا إلى الولايات المتحدة وتكفل مكتب إعانة المهجرين من اليهود العرب بكافة التكاليف على سبيل الدين والسلف على أن يُرد في أقرب وقت ممكن، فبعد أن كنا من ذوات الشأن وأصحاب الأملاك في مصر لم يُسمح لنا بالخروج منها سوى بملابسنا وبعض الدولارات التي لم تكفِ سوى للسفر من الإسكندرية إلى فرنسا وتركنا كل مالنا وأملاكنا هناك على أمل العودة والأهم من ذلك كان والدي هناك المدفون في ترابها، أصبحنا بين ليلة وضحاها أقرب إلى الشحاذين وطالبي المساعدة.. كما ترك أقاربنا بيوتهم ومجوهراتهم ومحلاتهم ولم يسمح لأحد للخروج بشيء، والصادم أيضًا أننا بعد التفتيش أجبرنا على التوقيع على استمارة تدعى آنذاك خروج بلا عودة.

بالرغم من ذلك يا حازم فقد ارتبطت ذاكرتي بكل شبر في هذه الأرض كما ارتبط قلبي بك..

لم أنسَ يوم صارحتك بقرار الهجرة الذي أجبرنا عليه أنا وأهلي وقد عارضت أنت بشدة، صارحتني برغبتك في الزواج

منـي، تعلـم يـا حـازم كـم تمنيـت ذلـك إلا أن أكثـر مـا أرقنـي آنـذاك أنـك ربمـا تجبرنـي علـى تغييـر ديانتـي بالرغـم مـن أنـك أكدت لـي أن هـذا لـن يحـدث وأنـك سـتتزوجني حتـى لـو العالـم كلـه وقـف ضـدك إلا أن وفـاة والـدي في هـذا التوقيـت ورفـض أمـي الصـارم لهـذه الزيجـة جعلنـي أرجـع خطـوات إلـى الـوراء، لـم أسـتطع عصيانهـا وتركهـا وحيـدة تسـافر إلـى بـلاد غريبـة لـم نعـرف بهـا أحـدًا.

لا أنسـى يـوم أن تكلمـت معـي أمـي حـين قالـت أنهـا هـي ووالـدي اختـاروا اسـمي بعـد دراسـة لعـدة أسـماء لقـد رزقهـم اللّه بـي بعـد عشـر سـنوات مـن الـزواج واختـاروا اسـمي (إليانـا) لأن اللّه أخيـرًا قـد اسـتجاب إلـى صلواتهـم ودعائهـم، فكنـت دائمًـا محـور حياتهـم ومصـدر سـعادتهم فلـم أسـتطع أن أكسـر بقلـب أمـي يومًـا مـا..

امتـلأت عيـون حـازم بالدمـوع بـل فاضـت حـين تذكرهـا وهـو يودعهـا علـى ميناء الإسـكندرية إذ أنـه لـم يـرد أن يتركهـا بـل سـافر معهـا مـن القاهـرة إلـى الإسـكندرية حتـى يظـل معهـا أطـول فتـرة ممكنـة.

تعلـم يـا حـازم مازلـت أذكـر كل ثانيـة قضيناهـا سـويًا داخـل وخـارج أسـوار الجامعـة وحـين كنـا نجلـس في المكتبـة ونتشـارك في قـراءة الكتـب والروايـات الإنجليزيـة ونتناقـش فيهـا.. لقـد افتقدتـك كمـا افتقـدت حياتـي كلهـا.

مازلت أتذكر تلك الأيام الخوالي حين كان أبي يدعو أمي لاحتساء الشاي في جروبي في ميدان سليمان باشا كان والدي يطلب لي قطعة من الحلوى اللذيذة التي مازلت أستدعي مذاقها في فمي.

أعرف أن اسم الميدان تغير فقد أصابت مصر هستيريا تغيير أسماء الشوارع بعد انقضاء العصر الملكي بالرغم من أن هذه الشوارع بأسمائها تحمل جزءًا من تاريخ مصر، كم تمنيت أن أمشي مرة أخرى في شوارع القاهرة وأزقتها أتنفس رائحتها.. تعرف ذلك الشعور حين تحب ولم يعد قلبك يتسع لهذا الحب بل يفيض منه الحب والحنين مثل الشلالات أو الفيضان الذي يغمر كل ما حولك بل يهدم أي سد عالٍ أمامه...

كم أحن إلى بلدي كما إليك!! قالوا إن الزمن هو طبيب المجروحين والمتألمين أما أنا فلم يمر بي هذا الزمن.. ما أقسى هذا الحنين يا عزيزي!!

حازم لقد اتخذت عهدًا على نفسي منذ أن تركتك، أن تظل معي ترافقني دربي الذي أسلك فيه، أحكي لك ما يحدث معي لتعيشه معي، في لحظات سعادتي وغبطتي ولحظات قلقي وبؤسي، لقد سكنت وجداني، كنت ومازلت خلي ورفيق رحلتي، لم أتمنَ غيرك.

لا تخف ما صنعت بك الأشـواق ●●● واشـرح هـواك فكلنـا عشـاق

قد كان يخفي الحب لولا دمعـك ●●● الجـاري ولـولا قلبـك الخفـاق

فعسى يعينك من شكوت له الهـوى ●●● في حملـه فالعاشـقون رفـاق

لا تجزعن فلست أول مغـرم ●●● فتكت بـه الجنـات والأحـداق

واصبر على هجر الحبيب فربمـا ●●● عـاد الوصـال وللهـوى أخلاق

كم ليلـة أسـهرت أحداقي بهـا ●●● ملقـى وللأفـكار بـي إحـداق

يارب قد بعد الذين أحبهم عنـي ●●● وقـد ألـف الرفـاق فـراق

الشاب الظريف

ذهبت فريدة في اليوم التالي وجدت والدها على سريره يقرأ أوراقًا معه وغارقًا فيها غير منتبه لأي أحد، بجانبه صندوقه الصغير وبجانبه بعض الصور إلا أنه قد وصل إلى حالة من الوهن والضعف لم تشهده فيها مسبقًا.. وكأن بين ليلة وضحاها

قد تخطى عمره بكثير.. فكيف لهذا الإنسان الصلب كالرخام أن يكون بهذا الانكسار!!

تنهدت فريدة من حال والدها، سألته فريدة أن تحضر له الفطار إلا أنه قد جاوب بالنفي، فجهزت له كوبًا من الشاي وقليلاً من البسكوت وسألته إن كان يحتاج إلى أي مساعدة إلا أنه تنهد وأومأ بالرفض أيضًا..

وهو يحتسي الشاي بيد مرتعشة فكر حازم أن إليانا استطاعت أن ترسل إليه مشاعرها بحروفها وكلماتها أما هو فقد شعر بالحسرة أن حروفه وحبره ظل حبيس أوراقه!

بدأت فريدة في ترتيب المنزل وتلميعه إلى أنه بعد فترة قصيرة كانت ابنتاها تصيحان وتبكيان، ففكرت أن تأخذهم أعلى بناية المنزل ليلعبن هناك حيث يوجد كثير من الحمام الذي يسكن هناك إذ يوجد برج حمام قد بناه أحد الجيران.. يرفرف الحمام في السماء محلقًا إلا أنه أخيرًا عند الغروب وعندما يرفرف علم صاحبه يعود إلى برجه وأدراجه ساكنًا مطمئنًا.

أخيرًا ابتعدت البنتان عنها وظلاً يشاوران على الحمام وهما في كامل سعادتهن.

وقفت فريدة بالقرب من سور البناية تراقب المارين ذهابًا وإيابًا تتأمل الباعة الجائلين في جلبابهم منهم مهلهل ومنهم مهندم، يصيحون بأعلى صوت لهم ليعلنوا مجيئهم ويعرضون بضاعتهم.

وقعت عيناها على أحد الشبابيك المقابلة كانت مواربة إلا أنها رأت بأم عينيها متيقنة مما رأت غير متوهمة بلا شك.

إنها ملك أخت أميرة ودينا مدحت جيرانها، لقد حاول ابن عمهم القادم من البلد ويقيم عندهم فقد كان طالبًا مغتربًا ومن الواضح ألا أحد بالمنزل سواهم حيث والداها في العمل وأخواتها قد تزوجن لقد حاول التحرش بها ربما حاول اغتصابها، لقد فتحت عينيها الواسعتين على أخرها لتتيقن مما رأت ففي أقل من برهة أمسك بيديها وزجها على السرير محاولاً تثبيتها إلا أنها رفصته بقدمها وقامت بعضه بأسنانها حتى تركها وانفك عنها..

فكرت فريدة أن تذهب إليها لتحميها منه إلا أن ملك قد قامت بالواجب..

رجعت فريدة بذكرياتها إلى الوراء حين حاول والد ملك التحرش بها.

فريدة لم تفكر قط أن هذا انتقام من الله له؛ لأنها تعلم وتؤمن أن من يفعل خطأ يعاقب هو عليه وليس أولاده، من يزرع يحصد.. كما أنها أيضًا لم تشمت فيها، إلا أنها شعرت بها وفكرت في الذهاب إليها إلا أن ملك كانت شجاعة ودافعت عن نفسها بكل شراسة، أما هي فلم تفعل شيئًا، كانت دائمًا وأبدًا فتاة مستكينة لا تأخذ موقفًا، لا تفرض رأيها، لا تريد أن تغضب أحدًا، إلا أنها أخيرًا أخذت موقفًا واضحًا لحياتها.

ووضعت **قاعدتها السابعة:**

وهو أن أسرتها الصغيرة قبل المال وقبل الجاه وقبل العمل وحتى قبل حنينها وعواطفها، ستحافظ على أسرتها وزوجها مهما مرت ومهما حدث في حياتها.

وحين أعدت قليلاً من الطعام لوالدها وأخيها فريد خصوصًا أنها تعرف جيدًا أن والدها يعيش على بعض حبات الزيتون الأخضر والخبز البلدي والجبن الأبيض ولا يأكل شيئًا سواهم مهما كان أمامه مما لذ وطاب من الطعام أما فريد فقد اعتاد على تناول الطعام خارج المنزل مع أصحابه وخطيبته..

ذهبت وابنتاها إلى بيتها تاركة والدها الذي وضح عليه التعب والعجز في ساعات وأيام قليلة وربما الحزن والألم أيضًا إلا أنه لم يتكلم أو يشكي، كان له قدرة عجيبة في كبت مشاعره وألمه.

كانت عندما تذهب إلى زيارته كان دائمًا ما يغدق على ابنتيها بالحلوى والبونبون الذي اشتراه خصيصًا لابنتيها إلا أن هذه المرة لم يلتفت حتى إليهم أو إليها كان مبحرًا بل غاطسًا فيما يقرأ.

وبعد يومين اتصل والدها بها يخبرها بصوت مترقرق خفيض أنه مريض جدًا، إلا أنها تلكأت في الذهاب إليه على ما يتعدى الساعة والنصف ساعة حمَّت بناتها وألبستهم وارتدت ملابسها الأنيقة وعندما وصلت رنت جرس الباب كعادتها ثم فتحت الباب ونادت بابا أنا هنا فلم يجبها، كان على سريره إلا أن روحه قد فارقته دون أن يراها، فقد وافته المنية، ظلت فريدة تصرخ بأعلى صوتها وكان صراخها وألمها بلا نهاية وشعرت أنه لن ينتهي.

دُفن حازم في أرضه وفي الأرض التي دُفن فيها والد إليانا الذي كان من المفترض أن يكون حماه ذات يوم إلا أن إليانا دفنت في أرض غريبة يبعدها عنهم آلاف الأميال من الكيلو مترات.

وبعد مراسم العزاء كان صندوق والد فريدة على سريره وبداخله شخصين لم يكونا سويًا إلا سنتين إلا أنهم عاشوا وظلوا معًا طوال سنين العمر.

وعندما قلبت فريدة في الدفتر الأخر وقعت عيناها على الصفحة الأخيرة حيث كتبت بالإنجليزية على عكس الصفحات

الأخرى المكتوبة بالعربية كان مكتوبًا فيما معناه: توفيت والدتي إليانا في إحدى مستشفيات نيويورك وكان تاريخ الوفاة قبل تاريخ وفاة والدها حازم بشهر واحد.

كان مكتوبًا أن وصيتها الأخيرة أن أرسل بهذا الطرد إلى هذا العنوان في مصر والتقصي عن اسم الشارع والمنطقة إن كان قد تغير مثل أشياء كثيرة أخرى قد تغيرت بكل تأكيد في مصر.

ابنها إيزاك ألكسندر.

دمعت عيناها التي لم تجف منذ وفاة والدها وأيقنت أن حياته لم تكن إلا غيومًا وهي بعيدة عنه، لم تجد أشرس من نداء العشق للإنسان وللبشرية أجمع.. فذكريات الماضي لها القدرة أن تأسرك وتجعلك مقيد القلب والوجدان، فلا تستطيع أن تسعد بحاضرك ولا أن تنظر إلى مستقبلك، إما إن تجاهلتها وحين تظن أنك تعافيت تمامًا من كل جروح الماضي فتمر بوجدانك ربما كلمة أو موقف يجعلك تنزف من جديد وكأنك جريح اليوم وليس الأمس.

احتفظت فريدة بصندوق والدها الذي يخلد ذكراه مع حبيبته اليهودية إليانا التي بادلته نفس العشق وكانت رفيقة دربه.

لم تكن فريدة متزمتة أبدًا من جهة الديانة فكانت تعي أننا كلنا إخوة في الإنسانية كما كانت أعز صديقاتها هي كرستين التي مازالت تتواصل معها منذ أن انتهت المرحلة الجامعية وبين فترة وأخرى يتحدثن مكالمات هاتفية مطولة.

●●●

obeikan.com

obeikan.com

حنان ووجدي ٤

أما وجدي فقد اشترى الكمبيوتر لحنان؛ تنفيذًا لرغبتها، كما أنه اشترك في خدمة الإنترنت بعد إلحاح منها، إنها تريد أن تتعلم اللغة الإنجليزية، وسمعت من إحدى جيرانها أنها تستطيع أن تتعلم عدة لغات وهي في منزلها وكان الهدف الأساسي لتعلمها اللغة الإنجليزية، بالرغم من أنها لا تفقه شيئًا فيها عدا الحروف الأبجدية هو مساعدة ابنتها في الدراسة خاصة أنها التحقت بإحدى المدارس الخاصة في حي شبرا ولا تريد أن تدخل في دوامة الدروس الخصوصية.

إلا أنه من السهل أن ينتوي الشخص شيئًا ما ويبدأ بأخذ الخطوات ويسلك الطريق الخاص به حتى يتفاجأ بشيء أخر ونتيجة مختلفة تمامًا في نهاية المطاف.

فقد تعلمت حنان بسرعة كبيرة الكثير عن استخدام الكمبيوتر بمساعدة أحد إخوانها كما تعلمت كيف تفتح لها حسابًا خاصًا في أحد مواقع التواصل الاجتماعي، ولم يفتها دخول غرف المحادثات التي تجمع العديد من الأشخاص حول العالم.

حاولت مرارًا وتكرارًا المحادثة مع غير المصريين من الأجانب إلا أن الحوار ما إن يبدأ:

How are u?

حتى ينتهي عند

I am fine, thank u

وتعجز بعدها عن مواصلة الحديث، وما إن تخرج من غرفة محادثة حتى تدخل أخرى لتكرر نفس المحادثة ثم تتوقف مرة أخرى.. إلا أنه ربما من حسن حظها أو سوء حظها أن تعثرت كلماتها مع أحد الأشخاص الذي سرعان ما انتبه من طريقتها واسمها أنها مصرية لا محالة.

كتب لها باللغة العربية..

أنتِ مصرية؟

نعم أنا من مصر وأنت من أين؟

أنا مصري لكن أعيش في أمريكا أُدعى شادي.

انبهرت حنان وظهرت عليها السعادة أنها من الممكن أن تتحدث مع مصري يتحدث الإنجليزية بطلاقة، يستطيع بكل سهولة تعليمها اللغة الإنجليزية بالإضافة أنها من الممكن أيضًا أن تعرف الكثير عن أمريكا وحياة الأمريكيين من خلاله.

obeikan.com

حلقت بالأحلام عاليًا، وبدلاً من أن تدخل دوامة الدروس الخصوصية لابنتها دخلت هي دوامة أخرى وهي المحادثات مع ذلك الشاب الذي تعودت التحدث إليه والتي كانت تواصل الليل بالنهار لتتحدث معه حتى وصل الأمر إلى حد الإدمان... أدمنته كما أدمنت حديثها معه، في الحقيقة إن إدمان البشر أصعب من إدمان المخدرات، كانت تقول ما الضرر الذي سيصيبني إن تحدثت معه فهو لا يعرفني وإن رأته صدفة لن يعرفها أو حتى تعرفه، إذن لا ضرر ولا ضرار، استسلمت له ببراءة الأطفال ولم تكن لتعلم أنه سيسلبها كل ما تملكه من وقت وحب وإحساس بالمسئولية تجاه أسرتها.

وبهذه المحادثات استطاع أن يتغلغل في جنبات نفسها، كان كلامه معسولاً معها، كان يسألها عن أي شيء وهي لا تفكر سوى أن تجيب عليه، كانت تُنهي أعمالها المنزلية بأقصى سرعة ممكنة حتى تتحدث إليه.

وبعد مرور عدة أشهر على هذه المحادثات اليومية بدأ يسألها عن تفاصيل غرفة نومها.. كيف يكون زوجها معها؟ كم مرة يقيمون علاقتهم الحميمية هذه وهكذا؟؟

وكانت بكل سذاجة تُجيبه.. وهو يرد عليها ردوده السخيفة التي ربما كانت تروق لها ولا تنتفض مرة واحدة لكرامتها وكأنها

مسحورة تمامًا، مأخوذة تمامًا، عينيها معصومة وقلبها أعمى، لا تعي ماذا تفعل؟! بل بالعكس شعرت مع الوقت أن وجدي قد تقزَّم في نظرها، كانت ترى نفسها في داخلها أنها أفضل منه، فهي حاصلة على دبلوم تجارة أما هو فلا، تعرف قليلاً من اللغة الإنجليزية على عكسه تمامًا، لها حساب على الفيس بوك وتستطيع التعامل مع الكمبيوتر والإنترنت أما هو مُفتقر لكل ذلك.

إلى كل هذه الإمكانيات الكبيرة في نظرها بالإضافة أنها تشعر ببروده تجاهها في معاملته معها وعلاقتهما ببعضهما البعض.

كل هذا لم ينتبه وجدي إلى ما يدور من حوله، كان يراها سعيدة بجلوسها أمام شاشة الكمبيوتر، تتعلم وتقضي وقتًا يشغلها عنه، عندما يعود من العمل ليلاً مُرهقًا، تُجهز له العشاء ويشاهد التلفاز قليلاً حتى يغُط في نوم عميق، وتسهر هي مع شاشتها.

وفي إحدى المحادثات:

دعينا نتفق بما أن عيد ميلادي اليوم، سأرسل لكِ صورتي، لكن بشرط واحد.

أجابت وهي ترسل ابتسامة: أرسل الآن أنا متشوقة جدًا لرؤية من أتحدث معه!

لا، نتفق أولاً.

ما هو شرطك؟

إن أرسلت لكِ صورة، ترسلي لي صورتك بالمقابل وإن أردتِ صورتين لي، ترسلي لي صورتين وهكذا.

ملأت الحيرة وجهها، ليس لأنها لا تريد أن ترسل، بل لأنها تريد أفضل صورة لديها، فستحتاج إلى بذل الكثير من الوقت.

وحين تأخرت في الرد كتب هو.

خلاص إن لم تريدي أن أرسل لكِ صورتي وتعرفين ما هو شكلي، لا توجد أي مشكلة، كأني لم أقل شيئًا وانسِ الموضوع من الأساس.

أسرعت قائلة: لا تقل ذلك، بالتأكيد أريد أن أرى صورتك لكن..

لكن ماذا؟؟

ما رأيك أن نؤجل هذا الأمر إلى الغد..

لماذا؟؟ أعطيني سببًا مقنعًا!

أأأ فقط اجعله غدًا.

لا لن أُأجل إلى الغد انسِ الأمر فهو عرض اليوم وسينتهي غدًا.

انتظرني دقيقة سأعود في الحال.

أنزلت نافذة المحادثة وفتحت الصور الموجودة في مجلد على الكمبيوتر، وهي تشاهد سريعًا الصور الموجودة، هذه صورة لي أنا وفرح، لا، صورة مع وجدي لا بالتأكيد، هذه صورتي مع أخواتي وأبي وأمي لا أيضًا وأخيرًا وجدت صورة لها وحدها، كان قد التقطها لها أخوها من جانب وجهها وهي تنظر إلى السماء، قالت أخيرًا: هذه الصورة جيدة بالطبع، يكفي أنها بجانب واحد من وجهها كما أنها لا تظهر جسدها، إذ أنه ممتلئ بشكل كبير لم تكن تريد أن يعلم هو أنها تقريبًا مُربعة الجسد.

أرسل إليها قائلاً:

حنان.. أين أنتِ؟؟ كل هذا دقيقة..

كتبت، لقد عدت.

أهلاً وسهلاً.. أين كنتِ؟؟

كنت أبحث عن صورة أرسلها لك..

أرسل وجهًا ضاحكًا.. إذن أرسلي!!

بالتأكيد لن أرسل.. سترسل أنت أولاً.

أوك..

وحين قام بإرسالها.. كانت الصورة لشاب ثلاثيني، وسيم، رشيق ذو شعر كثيف لامع، وابتسامة جذابة يمتطي حصانًا أسود اللون وفي خلفية الصورة مشهدًا للأهرامات..

اندهشت من الصورة وكتبت: هل هذه الصورة لك حقًا؟؟

طبعًا حنان إنها لي، هل تخيلتِ أنني غير ذلك..

قالت لنفسها: بالطبع إنه يعيش في أمريكا وبكل تأكيد سيكون مهتمًا لهذه الدرجة بشكله وهيئته.

إذن دورك..

ترددت أن ترسلها.. وفكرت أن تتحجج بأي شيء، قامت بغلق الكمبيوتر دون أن تكتب أي شيء.. وفي اليوم التالي عندما فتحته وجدته منتظرًا..

كتب لها:

أهلاً أهلاً.. أين كنتِ بالأمس؟ ماذا حدث؟؟

أهلاً شادي... كل ما هناك أن التيار الكهربائي قد انقطع

وبالتالي كل الأجهزة الكهربائية قد فُصلت.. إن الأمر خارج عن يدي أنا آسفة..

لا يهمك شيء، إنه حظي أنا السيء..

إذن أين صورتك؟؟

أنت مازلت مصممًا؟؟

نعم!! لا تراجع بكل تأكيد..

ربما تُغير رأيك فيّ إن رأيت صورتي..

لا تقلقي أنا مُحب للملامح المصرية في كل الأحوال..

وحين تشجعت بسبب كلماته، أرسلت إليه الصورة التي قد اختارتها بالأمس.

Wow.. Oh my God

صورتك حلوة جدًا..

شكرًا على مجاملتك الرقيقة..

لا بالفعل جميلة إن ملامحك مصرية أصيلة، وهو الشيء الذي افتقده هنا في أمريكا، لا تنسي أنني مصري وأحب وأحن إلى كل ما هو مصري..

obeikan.com

ابتسمت حنان من قلبها لتلك الكلمات وأرسلت له عشرة وجوه تضحك حتى تعبر بها عن مدى سعادتها بكلامه..

واستمرت المحادثات اليومية بينهم إلا أنها لم تضيفه قط ضمن أصدقائها على الفيس بوك بالرغم أنه أنشأ حسابًا خاصًا به ليضيفها إلا أنها أجابته أنها لن تستطيع، إن كل عائلتها وجيرانها سيسألون من هذا الشادي الموجود من ضمن أصدقائي ولن تعرف بماذا تجيب؟! فمن الأفضل ألا يكون معها على الفيس بوك.

كانت مُقصرة جدًا مع أهلها في زيارتهم حتى في المكالمات التليفونية كانت سرعان ما تريد إنهاء المكالمة معهم حتى لا تضيع الكثير من الوقت؛ لتتحدث معه هو فقط.. كانت أشبه بجائعة إلى الصداقة وإلى الكلمات الحلوة المرشوشة بالسكر، فيذيب كل جامد فيها حتى ولو كانت تعي أنها مجاملة لا أكثر ولا أقل، كانت تحتاج إلى هذا النوع من الاهتمام الذي لم تجده سوى مع هذا الشادي الذي عادةً يشدو ويُغني لها وعليها، كانت الكلمات هي كل أدواته التي يستخدمها معها.

بالرغم أنهم تحدثوا كثيرًا وسخروا من أشياء قد تطرقوا إلى الحديث عنها إلا أنهم لم يتطرقوا إلى كلمات الحب قط.. وبالرغم أنه دخل في كل تفاصيل حياتها إلا أنها لم تسأله عن أي شيء فكان يقول ما يريد أن يقوله هو فقط..

سُلبت حنان تمامًا من حياتها دون أن تدري، أغمضت عينيها كما صمت أذنيها عن سماع صوت عقلها وقلبها، من عدة أشهر كانت تتمنى أن تجلس مع وجدي وأن تشعر بحبه لها وأن يحيطها بحنانه، أما الآن فهي لا تطيق حتى رؤيته..

وفي ذات ليلة كان وجدي يعاني من حُمى شديدة، كانت مُجبرة أن تغلق شاشة الكمبيوتر حتى تقوم بواجبها تجاهه.

كان ما بين المستيقظ والنائم والعرق يتصبب من جبينه، شعرت حنان ببعض التعاطف عليه، جلست بجانبه وضعت إحدى يديها على جبينه.. نظرت إليه نظرة شفقة وقالت:

ألف سلامة عليك.. أكيد العلاج هيجيب نتيجة وستكون أفضل حالاً، وقامت بطبع قبلة على وجهه.

رفع عينيه إليها واضعًا شماله حول رأسها وبيمينه أخذ يعانقها فقد استفاق تمامًا، وكأن هذه القُبلة لها كل هذا التأثير عليه، ففي ثوانٍ قليلة قد تملكته الشهوة خاصة أنه لم يلمس أحدهما الأخر لأكثر من شهر.

إلا أن حنان تلبكت قليلاً وتحججت أنها مُتعبة ولا تستطيع، ورفعت يديه من عليها..

حين قالت كلماتها.. أغلق وجدي عينيه وهو يشعر بإحباط شديد داخله ولف بجسده معطيًا ظهره لها.. قائلاً لنفسه: إلى هذه الدرجة لا تشعر هي بي وباحتياجاتي!!

حنان التي كانت تتمنى أن يرضى عنها هي نفسها حنان التي الآن لا تطيق أنفاسه ولا حتى النظر إليه.

ربتت على كتفه، مُخبرة إياه أنها ستعوضها له في المرة القادمة، فقد تجاهلها ولم يرُد عليها، وصله شعور ثقيل بالرفض من تجاهها وعدم تقديرها له ولاحتياجاته الجسدية.

●●●

openkan.com

obeikan.com

فريد ٣

إن سن العشرين هو المرحلة العمرية الأروع على الإطلاق، إذ يتميز هذا السن بالعينين اللامعتين والأمل والطموح الذي يملأ كل خلية من خلايا أجسادهم وهذا ما تتميز به ليلى صديقة فريد المقربة له فقد تعارفوا في إحدى الندوات الثقافية المقامة في ساقية الصاوي ومنذ ذلك الحين كانا يتقابلان باستمرار مع المحادثات التليفونية المطولة بينهم.

ليلى فتاة خمرية اللون، طويلة، ذات شعر أسود داكن يصل إلى الكتفين وعينين سوداوين ورموش طويلة كثيفة، فم صغير مثل وردة حمراء متفتحة وابتسامة جذابة، مشكلتها أنها تعتقد أنها مركز الكون والكواكب تدور حولها هي.. هي فقط.

عندما يجتمع الأقارب أو الأصدقاء لمناقشة شيء ما أو مشكلة، تعتقد أنها محور النقاش إن كان سلبًا أو إيجابًا..

هي وحيدة والديها، لديها سيارة تُجيد قيادتها بشكل جيد.

تدرس في قسم الإرشاد السياحي جامعة عين شمس.

فيها كل المتطلبات والمواصفات المناسبة كعروسة لفريد، كان في السنة الأخيرة لدراسته في الجامعة أما هي فكانت تصغره بسنتين.

obeikan.com

كان يمتلك شقة صغيرة في أحد الشوارع الجانبية بحي شبرا، اشتراها له والده عندما ورث بعد وفاة جده.

كانت ليلى مولعة بالثقافة وحضور الندوات الثقافية على عكس فريد كان يحضر هذه الندوات لمقابلة أصدقائه وتقضية وقت لا غير.

لم تكن ليلى في سن المراهقة فتاة عادية، لم تلصق بوسترات لمطربين أو ممثلين بل كانت حوائط غرفتها مغطاة بصور لنجيب محفوظ وهاني عازر وفاروق الباز وعصام حجي ومجدي يعقوب وغيرهم من أثبتوا نجاحًا كبيرًا في مجالاتهم، كان حلمها أن تحقق نجاحًا كبيرًا في حياتها وما كانت لتتنازل عن أن تكون امرأة عاملة.

وفي أحد أيام خطوبتها تحدثت إلى فريد:

فريد أنت تعلم أني لن أتنازل بعد الزواج عن حقي في العمل.

أكيد ليلي.. لا تقلقي أنا من مشجعي عمل المرأة، ابتسم نصف ابتسامة غامزًا بإحدى عينيه مستطردًا، على الأقل ستشعرين بي عندما أعود من العمل متعبًا ولن تكوني كثيرة الكلام مثل السيدات الملازمات للبيت.

ابتسمت مؤكدة أن العمل بالنسبة لها حياة أو موت ولن تقبل بغيره، وفريد لم يعترض البتة بشأن عملها بل كان مشجعًا لها ولطموحها. وبعد مرور سنة على وفاة والده تزوج فريد من ليلى التي كانت خطيبته لسنتين كاملتين، في ليلة الحناء قامت عائلتها بالاحتفال بهذه الليلة في إحدى أكبر القاعات ودعوا العائلتين ليفرحوا ويحتفلوا سويًا، كانت ليلى مرتدية فستان سواريه بكتف واحد مطرز عليه بتلات ورد متفتحة ذات لون أحمر والفستان أبيض طويل اللون مطرز بالدانتيل والورود الحمراء حول ذيل الفستان، وشعرها مزين بالورود الحمراء الصغيرة، كما دعوا إحدى الراقصات الشرقيات وأحد المغنين المعروفين بالغناء الشعبي.

أما فريد احتفل مع أصدقائه بطريقته الخاصة، إذ ذهبوا جميعًا إلى أحد مطاعم الأسماك الفخمة وتناولوا الجمبري ومنهم من طلب وجبات من السمك المشوي والسنجاري اللذيذ هذه الوجبات المليئة بالفسفور والسلطة الخضراء والأرز البني بالإضافة إلى شوربة السمك المعتبرة وتسامروا وضحكوا حتى الثمالة، وحتى لا يكونوا عبئًا على العريس قد اتفقوا مسبقًا أن كل فرد منهم سيدفع حسابه الخاص به، وبعد أن انتهوا انطلقوا نحو القاعة ليكتمل احتفالهم وفرحتهم مع أسرة العروسة بالرقص والغناء.

وفي اليوم التالي عقدوا القران وبعد الاحتفال انطلق العريس والعروسة إلى المطار بالبدلة السوداء والفستان الأبيض ليطيروا إلى مدينة شرم الشيخ الساحرة التي تتميز عن أجمل المدن الأجنبية في جمالها ومناخها وصفاء مياهها؛ ليقضوا أوقات من العسل هناك، كانوا في قمة سعادتهم، التقطوا من الصور والمناظر الطبيعية أجملها وأحلاها ورفعوها على مواقع التواصل الاجتماعي، كانوا نموذجًا مثاليًا لشابين وسيمين في بداية حياتهم مُقبلين على الحياة، مُتحابين، وكان من ضمن الأشياء المميزة في صورهم هو ارتداؤهم نفس التي شيرتات بنفس الألوان ونفس لون البنطلون وكأنهم توأمان، كانت صورهم موقع حسد وغيرة من كل الأقارب والأصدقاء، كم تمنت قريبة لها أن تتزوج بدكتور وسيم مثله يحملها ويتصور بها سعيدًا وفخورًا بحبه لها، وكم تمنت من تأخرت في الزواج بأن الله يرزقها بفرحة مثل هذه الظاهرة للعيان في الصور التي تتأملها وتتنقل بينها، تشعر بغيرة وربما حقد على من ينالون هذه السعادة أما هي فمحرومة منها..

وبعد عودتهم، هو فتح عيادته أسفل البناية التي يقيم فيها، كانت العيادة أشبه بمتحف، في مدخل العيادة توجد صورة كبيرة لامرأة جميلة ترتدي جلبابًا مطرزًا ولامعًا وإيشاربًا على رأسها وهي ممسكة برق بيديها الاثنتين المرفوعتين إلى أعلى (آلة الرق

وهـي آلـة موسـيقية) وموقعـة مـن الفنـان شـمس الديـن وفي حجـرة الكشـف توجـد العديـد مـن الصـور والتابلوهـات مختلفـة الأحجـام والأشـكال والغريـب أن هـذه الصـور لا تحـوي أي رسـومات تـدل علـى أن هـذه عيـادة لمعالجـة الأسـنان المتألمـة..

أمـا ليلـى عملـت مرشـدة سـياحية في إحـدى أكبـر الشـركات السـياحية في التحريـر.

قـد بـدأوا حياتهـم مخططـين لهـا، أنهـم لـن ينجبـوا أطفـالاً إلا بعـد سـنتين مـن الـزواج حتـى يسـتقروا في أعمالهـم وسـرعان مـا أثبتـت ليلـى نفسـها في عملهـا وأصبحـت مرشـدة سـياحية معروفـة بـين الشـركات السـياحية لإتقانهـا خمـس لغـات أجنبيـة مختلفـة والـذي يُسـعد السـائحين بوجودهـا معهـم.

بعكس فريـد الـذي كان يعانـي مـن عـدم شـهرته في المربـع الـذي يعيـش فيـه خصوصًـا أنـه حديـث التخـرج وقليـل الخبـرة كان مـا بـين حـين وأخـر يـزوره أحـد أقاربـه في العيـادة ليكشـف علـى أسـنانهم إلا أنـه في كل مـرة يوصيهـم بالدعايـة لـه بـين الأقـارب والأصحـاب ومـرت السـنتان رزقهـم الله بطفـل وسـيم يشـبه والـده وجـده وأطلقـوا عليـه اسـم كـريم، انقلبـت حيـاة فريـد وليلـى رأسًـا علـى عقـب، بالرغـم أن حالتهـم ميسـورة وكان في إمكانهـم إيداعـه في إحـدى الحضانـات التـي

تهتم بالأطفال الرضع إلا أنهم خوفًا عليه وتوفيرًا أيضًا، قد قرروا سويًا أنه في حين وجود ليلى في عملها سيكون والده جليسًا مع كريم يهتم به ويرعاه حتى تعود هي إلى البيت مساءً ويبدأ هو فتح عيادته الموجودة أسفل البناية، إلا أن فريد شعر أن مسئولية الاهتمام بطفل رضيع هو شيء في غاية الصعوبة، إذ كان عليه أن يُحضر له الرضعات وتغيير الحفاضات بشكل منتظم وبالطبع تحميمه وتهدئته أثناء بكائه، كان أمرًا في غاية المشقة، فهو طوال حياته بالكاد يحمل أعباء نفسه، كما كان عادةً ما يتذمر داخله قائلاً أن الله قد وضع مشاعر الأمومة وتحمل الأطفال وملأ احتياجاتهم، طبيعة موجودة في داخل الأمهات ولا يشعرن بهذه المعاناة التي يعانيها الرجال في معاملة الأطفال الصغار، إلا أن ما كان يصبره على حاله، هو أنه مازال غير متمكن من ناحية عمله كـ دكتور وغير معروف أيضًا، وليلى لها دخل جيد يساهم بشكل ما في إعانة البيت ومصاريفه مع أنها كانت تُخرج من مرتبها القليل إلى البيت إلا أنه كان يساعد بشكل ما وتعمل على وضع باقي المرتب في دفتر توفير لها وإن احتاجت هي إلى ملابس أو مستحضرات تجميل كانت تعول نفسها.

كانت المسئولية مُضاعفة حين يتطلب عملها إلى السفر في رحلات سياحية إلى الأقصر وأسوان، وحين وافق هو على سفرها

والجلوس في البيت مع كريم إلا أنه اكتشف كم كان مُخطئًا في حق نفسه أن يتحمل كل هذه المسئولية.

ففي أوقات العيادة يُغير لكريم ملابسه ويأخذه معه، وكانت تهتم به السكرتيرة الموجودة في العيادة، فالعيادة في معظم الأوقات تهش وتنش، قد كانت تكاد تخلو من المرضى.. وحين يدخل مريض يصبح فريد في غاية الفرح والسرور ويوصيه وصيته المعهودة، لا أوصيك على الدعاية لي، يقولها خجلاً وتضرعًا وأملاً أن يكون معروفًا ذات يوم.

في حين كانت ليلى غير عابئة ولا مهتمة بشيء سوى عملها ونجاحها وتحقيق شهرة بين الشركات السياحية والتنقل من مكان إلى أخر مع أفواجها السياحية، وفي عز انشغالتها نست تمامًا مسئوليتها تجاه زوجها وابنها.. وبدأ فريد يشعر بالوحدة.. الوحدة التي كانت تزداد مع ازدياد وقت الفراغ والإحباط.

كان فريد مُحبًا لها إلا أن إهمالها له مُعظم الوقت جعله مُدمنًا على شاشة اللاب توب مُحاولاً ملء احتياجاته على الأقل الجنسية منها، كان يُفرغ طاقته أمام شاشة اللاب توب... مرة، مرتين كان يشعر بالذنب إلا أنه مع الوقت وإهمالها له الذي طال قد أمات ضميره أو على الأقل جعله غافلاً ولا يأتي تجاهه للتفكير في الأمر.

وبعد مرور سنة على هذا الحال:

فريد!! أنا محتاجة فلوس.

فلوس!! لماذا؟؟

أريد أن اشتري ملابس جديدة وحذاء وحقيبة يد!

قال متعجبًا:

ما المشكلة في ذلك؟؟ اشترِ ما تريدينه.

اتكت على كلماتها وهي تنطقها، أريد مالاً..

رد ببرود: أنتِ معكِ، اشترِ!

لا حضرتك فهمتني خطأ بالتأكيد..

أنا مسئولة منك والمفروض تصرف عليّ!!

صر على أسنانه كاتمًا غيظه!! طريقتها في الكلام كانت مستفزة وصوتها العالي جعله أكثر ضيقًا، واختناقًا.

لكنه أجاب: بكل هدوء عندك حق.. كل ما تريدينه، أنا سأعطيه لكِ، صمتت ثم قالت في الغد سأذهب للتسوق.

أجاب: إن شاء الله!

وفي الصباح الباكر، استيقظت ليلى في وقتها المعتاد، تستعد للذهاب إلى عملها.

كان فريد وكريم مستيقظين، وحين كانت متجهة نحو الباب،

تكلم فريد بكل هدوء أقرب إلى البرود: إلى أين أنتِ ذاهبة؟؟

أجابت متفاجئة من السؤال، رافعة أحد حاجبيها، قائلة: إلى العمل!!

لا لا اتركي العمل، أنتِ مسئولة مني، اجلسي في البيت اهتمي بابنك وزوجك، وكل ما تريدينه أنا مسئول أن أشتريه لكِ!!

احمر وجهها بل استشاطت غضبًا، صارخة: نعمممم، نحن متفقون على موضوع الشغل منذ زمن!!

أنت تعلم ماذا يعني العمل بالنسبة لي؟

كلامي واضح يا ليلى، بيتك وكريم محتاجان إليك!!

ردت بعصبية: لا يا فريد أنت عارف إن عملي معناه حياتي والكلام الفارغ ده لا يمكن هوافق به!!

فتحت الباب قائلة: أنا ذاهبة إلى العمل..

رفع صوته قائلاً:

تمام، ابنك خذيه معكِ أنا عندي حاجات كتير، عايز أقوم بها، وخارج..

أنت بتعجزني!! قالتها وملامح وجهها كلها تغلي!!

اعتبريه كما تريدين..

ردت مُستهجنة ومُستحلفة: لكن أنا لو خرجت به، أنت لن تراني مرة ثانية!!

أجاب ببرود الثلج وقسوة الحجر: كما تريدين يا ليلى، (شوفي الجنب اللي يريحك ونامي عليه).

دخلت غرفتها إلا أن الدم كان ينتفض في عروق يديها وقدميها من شدة التوتر والعصبية مما أدى إلى ارتعاش أطرافها، فكان القرار الذي اتخذته لم يكن سهلاً عليها وأخذت تفرغ دولابها من ملابسها وتضعهم بطريقة عشوائية في حقيبة سفر كبيرة، كما جمعت ملابس كريم واتجهت نحو الباب وهو لم يرمش له جفن.

شعر فريد بألم في قلبه، إلا أنه لم يتكلم، أراد أن يستحلفها بالله ألا تستفزه ولا تُشعره أنها مُتجبرة عليه، هل لأن مُرتبها أعلى منه فهي تراه هو، أقل منها شأنًا!!

مر يوم، يومان، ثلاثة، أسبوع اثنان ثلاثة ولا جديد، وذات يوم قامت فريدة بالاتصال بأخيها فريد على هاتفه المحمول.

فريد، كيف حالك؟؟

أنا بخير، كيف حالك أنتِ وباسم والبنات.

تمام الحمد لله، وكيف حال كريم؟!

لا أعرف يا فريدة.

فريد، دعني أتجه إلى الموضوع بدون لف ودوران.

أخذ فريد نفسًا عميقًا، أنتِ عرفتِ!

فريد، ليلى تحدثت إليّ اليوم بخصوص ما حدث، وكنت لأول مرة أسمع ما حدث بينكما، لا أريد أن أعاتبك بخصوص هذا الأمر وأزيد من همك.. إلا أني كنت أتمنى أن تعي أنه أنا وأنت ليس لنا أحد سوانا ولكن دعنا نتخطى هذه النقطة الآن!!

آسف يا فريدة، أنا لم أقص لكِ ما حدث ولكن كلاً منا عنده همومه ومشاكله فلم أرد أن أُحملك مشاكلي أيضًا.

ابتسمت فريدة قائلة: يا سيدي كنت على الأقل سأتصل بك بين وقت وأخر لأطمئن عليك.

أجابها بصوت مُحب: ربنا يخليكِ يا فريدة.

فريد سأنتظرك اليوم نتناول الغداء سويًا ونحكي مع بعض.

حاضر..

ذهب فريد إلى بيت أخته، وقد أخذ معه كيك وعصير للبنتين وبعد أن تناول معها وابنتيها الغداء، كان عبارة عن بفتيك وأرز أبيض وسلاطة خضراء، وامتدحها على الطعام..

أخذت تحاول إخراج الكلمات منه إلا أنه رفض أن يتكلم، فتكلمت هي عما قالت ليلى عندما هاتفتها، طلبت منه فريدة بل توسلت إليه أن يذهب ليصالحها إلا أنه قال:

فريدة! أولاً هي لم تقص عليكِ كل الموضوع إنما قالت فقط ما تراه من وجهة نظرها..

شرد بفكره وشعر بوخز في قلبه، فقد كان يشعر أنه قضى عامًا كاملاً من الجهد المبذول، آخذًا دور الأب والأم، يقوم بكل شيء أما هي فكانت مُقصرة كليًا معه ومع ابنهم.

ثم تكلم: هي من تركت البيت، كما تركته تعود إليه، وهذا قراري النهائي.

بعد أن تركها فريد مُتجهًا إلى بيته، وضعت فريدة **القاعدة الثامنة:**

لا تنخدعي بالمظاهر، فمهما خُيل إليك من الظاهر وحتى الصور على مواقع التواصل الاجتماعي، أنه يوجد زوجان في سعادة كاملة فأنت بالتأكيد على خطأ، يجب على الطرفين العمل على إنجاح علاقتهم وأي تقصير من أحدهما سيصيب علاقتهم بالضعف، أما المشاكل الصغيرة أو المشادات التي تحدث بين الطرفين شيء عادي وطبيعي مادامت تغلف في إطار من المحبة واحترام كل منهما للأخر.

طرأت في رأس فريدة فكرة هي أن تتحدث مع ليلى محاولة إقناعها بالعودة إلى بيتها وبالرغم من موقف ليلى المتشدد وإعلانها لفريدة أنها لن تعود دون أن يأتي ويعتذر لها، كان الأمر متعلقًا بالكرامة بالنسبة لها.

أما قلبها كان يحثها أن تعود إلى بيتها، فكرت أنها تحاملت عليه وأراحت نفسها من أي واجبات ملقاة عليها، كيف كان فريد محبًا لها حاملاً إياها ومتحملاً دون شكوى أو كلل، وبعد عدة أيام اتخذت ليلى قرارًا سريعًا بالعودة دون التفكير كثيرًا متجاهلة أمر كرامتها والاعتذار المنشود.

كان فريد مستغرقًا تمامًا في مشاهدة أحد الأفلام الإباحية على شاشة اللاب توب ولكنه شعر بالفزع الشديد حين سمع

صوت مفتاح يوضع في الباب ويُدار داخله إلا أنه قام مهرولاً، وقام بإغلاق الشاشة سريعًا وعندما فُتح الباب دخل كريم ضاحكًا مُتجهًا إلى فريد قائلاً: بابا بصوت طفولي عذب، حاول فريد امتصاص المفاجأة وربما الصدمة، فأخذه فريد رافعًا إياه بين ذراعيه، ربت كريم على رأس والده فريد محتضنًا إياها قائلاً: بابا وكأنه عبر بحركاته هذه عن عشرات الكلمات التي ممكن أن تقال..

وحين دخلت ليلى بحقيبتها التي خرجت بها قالت:

كيف حالك فريد؟

ابتسم شاعرًا بالانتصار لرأيه ورغبته.

أجابها: بخير ليلى، حمدًا لله على سلامتك، مُقبلاً جبينها، أما هي فكانت نظراتها على استحياء.

إلا أن فريد شرد قليلاً بفكره، لو أن ليلى ظبطته متلبسًا منذ دقيقة واحدة بما كان يفعل، ولم يدرك أن الباب يُفتح ماذا سيكون موقفه الآن؟ شعر بالخزي والعار والضعف داخله، إلا أن ليلى عاتبته، أنها قضت طوال هذه الفترة في بيت والدها دون أن يسأل عنها وعن كريم.

ابتسم فريد مُربتًا على كتفيها ما مر قد مر يا ليلى، دعينا نبدأ من جديد.

قد لُجم لسانها، إلا أنها رمقته بنظرة محاولة الاستيعاب وتخطي ما مضى.

داعب فريد شعرها بأصابعه قائلاً: اتفقنا، جاوبته: اتفقنا يا فريد.

وما إن دخلت ليلى لتغيير ملابسها وكريم، فتح فريد الشاشة ليقوم بإغلاق الصفحات المفتوحة ومسح التاريخ الذي يحفظ كل كلمات البحث التي قام بالبحث عنها، وأراد بالفعل أن يبدأ من جديد.

شد ابنه إلى قلبه محتضنًا إياه بقوة، فقد كان فريد محتاجًا إلى هذا الحضن أكثر من احتياج ابنه له.

تحتضن ابنك؛ لاحتياجك أنت إلى هذا الحضن، أكثر من احتياجه هو، فيصلك نوع من الدعم المعنوي دون أن تدري، تتنهد وتبتسم، فهناك من يحتاج أن يراك قدوة له، إنسانًا طموحًا، ذو إرادة قوية، ناجحًا.

وحين علمت فريدة بعودة ليلى إلى بيتها، وضعت هنا فريدة

قاعدتها التاسعة:

ليس من العيب أن تقع في الخطأ ولكن الأكثر عيبًا أن يعجبك الخطأ والعيش في الوحل، من الجيد حين تقع في الخطأ أن تقوم وتنظف ملابسك وتستأنف حياتك مع درس قد تعلمته وخبرة قد اكتسبتها .

●●●

obeikan.com

عزيز ٣

وفي أحد الأيام الشتوية شديدة البرودة، كانت السماء ذات لون رمادي تكسره أشعة الشمس البرتقالية المائلة للغروب، فتحت فريدة صفحتها الخاصة على الفيس بوك لتجد طلب صداقة من عزيز مراد عزيز، وحين قرأت حروف اسمه تعالى صوت دقات قلبها على سكون المكان، شردت لدقائق مرت كالساعات، حاولت أن تتجاوز هذه الحالة إلا أن الذكريات لم تتجاوزها، كانت شاشة ذكرياتها تعرض صور ليست ببعيدة، تذكرت حين امتلكت هاتفًا محمولاً لأول مرة كانت أول رسالة تستلمها من نفس الاسم، الرسالة التي حفظت حروفها عن ظهر قلب: (فريدة، يا من رسمتك قمرًا في سمائي ونقشت نورك على جدران قلبي ووجداني).

كما تذكرت رسالته قبل زواجها بأيام قليلة:

(أنا الحبيب الذي وقف في منتصف الطريق، لا أستطيع الوصول إليكِ ولا أستطيع العودة إليّ، تمرد قلبي عليّ، فحبك شهادة ميلادي، وفي بُعدك قد شاهدت مماتي).

كما تذكرت أنها لم ترد على هذه الرسالة التي كانت رسالته الأخيرة لها..

ذابت فريدة مثل شمع محترق في نار، تذكرت مشاعرها آنذاك وهذه الأيام التي مرت عليها بسرعة البرق، لو كانت تعلم أن هذا ما سيحدث لكانت عاشتها معه بطريقة أفضل مستمتعة بكل لحظة ومتذوقة إياها على مهل، حاولت أن تعود إلى نفسها سريعًا إلا أنها أوقفت التفكير فيه وإن حدث دون أن تدري تؤنب نفسها محاولة شغل وقتها، وبالرغم أنها حاولت السيطرة على تفكيرها أثناء صحوها واستيقاظها فكيف تسيطر على نفسها أثناء نومها، ظلت لأيام متتالية تحلم به حين كانوا سويًا كان عقلها الباطن وقلبها ينفسون عن أنفسهم بطريقتهم الخاصة فظلوا يستحضرونه لأيام عدة، وبالرغم من استيائها وعدم قبولها الصداقة إلا أنها كما هو أيضًا، يتابعون كل ما هو جديد فقط لبعضهم البعض من بعيد.

وبعد عدة أيام قرأت على صفحته: (يا صديقتي لا أدري إلى متى يظل حالي هكذا تمنيت أن أحيا الحياة، ولكني أحيا إكلينيكيًا دون حياة لروحي التي تكسرت وتهشمت في بعدك عني).

تدغدغت مشاعر فريدة حين قرأتها إلا أنها أغلقت الكمبيوتر وشرد تفكيرها:

إن استطعت تغيير كوني زوجة فلن أستطيع تغيير مسئوليتي كأم، وإن استطعت العودة إلى الماضي فلن أستطيع العودة بنفس القلب العاشق دون ندوب وكسور مازالت موجودة هناك، لن أكون مثلما كنت في الماضي لأني باختصار أصبحت إنسانة مختلفة لقد تشكلت شخصيتي واختلفت عما كنت في الماضي.

إن كان عزيز ماضٍ فـ باسم زوجي هو حاضري ومستقبلي، فهي تعلم جيدًا أن باسم يُشبع نفسها مما زادها قوة لتدوس على كل ما يبدو مثل العسل إلا أن داخله مرارة المر، فهو فقط الحنين لمجرد الحنين لكل ماضٍ لن يعود مثل حنينها لكل من رحل مثل حنينها لوالدها ووالدتها.

تعلم فريدة كما تعلمت من والدها ومن كل من مر في حياتها، وكتبت في خواطرها:

(لم أجد جدوى من الذكريات إلا زيادة الأوجاع والكسرات).

شردت فريدة وفكرت، هل من الممكن أن يكون الحب قرارًا والسعاده قرارًا؟؟ فكل فعل يبدأ بفكرة وإشارة من الرأس حتى المشاعر من الجائز أن تكون كذلك!!

وحين فتحت صفحته وجدته كاتبًا:

(فلتأخذي مني كل زهرات العُمر.. ولتمنحيني دقيقة رائحتها أنتِ).

وفي اليوم التالي فكرت أن تُريح نفسها وتضغط على زر الإحجاب وقبل أن تعمل بلوك دخلت للمرة الأخيرة على صفحته فكان كاتبًا:

(والآن أشهد أن حضورك موت وأن غيابك موتان) محمود درويش.

كانت هذه الكلمات هي كلماته التي قرأتها للمرة الأخيرة كان بها العديد من التعليقات والمئات من الإعجابات من أصدقائه كان عزيز مثقفًا بدرجة كبيرة محبًا لقراءة الشعر والأدب كانت ميولهما واحدة دائمًا، إلا أنها قرأتها وضغطت على زر الإحجاب دون عودة..

وقد خطت قاعدتها **العاشرة: إن الفراغ كثيرًا ما يفسد، إن الإنسان صاحب العقل الفارغ والأحلام الشاردة هو فريسة سهلة الصيد لكل ما هو خاطئ.**

إن كان باسم رافضًا للعمل تمامًا وهو الشيء الذي سبّب لها الأذى إلا أن الأمر مرت عليه السنون الطويلة، إذن فلتشغل وقتها بشيء مفيد، كانت فريدة تهيم حول أحلامها محاولة صنع طريق أخر أو مخرج لها.

وحين فكرت أن تكون وظيفتها هي «صانعة الابتسامة»، ابتسمت هي حين قررت أن يكون عملها هو رسم ابتسامة لكل من حولها، ستجعل كل إنسان تقابله مبتسمًا، في البداية استصغرت الفكرة واستخفت بها، إلا أنها وجدته عملاً خفيفًا ممتعًا تحب أن تقوم به، في الحقيقة أصبحت فريدة فنانة ماهرة تجيد رسم أروع الابتسامات على الوجوه الكئيبة.

وفي بداية اليوم الأول نزلت لتشتري بعض لوازم البيت وحين رأت حارس العقار تمنت له صباحًا سعيدًا كعادتها ونظرت حولها لتحييه على نظافة مدخل العمارة وشجعته ببعض الكلمات ورأت ابتسامته لقد نجحت في مهمتها، وهي تشتري حاجياتها اشترت بعض البونبون والطوفي لتعطيه لكل طفل صغير يلعب أمام البناية التي يقطن فيها، ورأت ابتسامتهم جميعًا، كانت كعادتها تستقبل باسم بابتسامة مرحبة به عند عودته حتى لو كانت متألمة أو يوجد ما يضايقها كانت لا تكشر في وجهه مهما حدث، أدركت فريدة أن «الابتسامة هي بداية السلام» وإن كان سلامًا خارجيًا، السلام مع من حولك فهي أيضًا بذرة السلام الداخلي التي تزرعها في قلبك.

إلا أنها بعد عدة أيام وقعت في اختبار، حين خرجت هي وبناتها لتشتري لهم بعض احتياجاتهم من المكتبة وقف أمامها رجل يستعطفها باكيًا أن ابنه في المستشفى ويحتاج إلى مصاريف وعلاج وحين بكى أمامها أخرجت مائة جنيه كانت كل ما تملك وقتها وأعطته إياها ولم تشترِ شيئًا مما أرادت إلا أنها حين عادت إلى البيت شعرت بضيق واختناق ماذا لو أن هذا الرجل نصاب وضحك عليها خصوصًا أنه قال كلمات عكس بعضها أثناء استعطافها، وحين سألتها إحدى ابنتيها لماذا ماما الضيق ظاهرًا عليكِ؟؟ فأخبرتها ما يجول في تفكيرها أجابتها إحدى ابنتيها التي لم تتجاوز ست سنوات: ماما لا تندمي على فعل الخير مهما حدث وردت الابنة الثانية مبتسمة: ماما أنتِ علمتينا من سألك فأعطه ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده، ابتسمت فريدة حين رأت أن البذور التي بذرتها في ابنتيها بدأت تنمو وتظهر أمامها.

وأجابت فريدة إلا أن الحكمة مطلوبة، كان بإمكاني أن أسأله في أي مستشفى هو وعن اسمه بالكامل وأرادت أن تشير لهم فقالت: (لن أذهب معه بأي حال لأنه لا يصح أن أذهب مع أي غريب لأي مكان) وحينها كنت ممكن أساعد بأكثر من ذلك وسأكون متأكدة من الأمر بنفسي..

وبعد فترة من الوقت وسعت دائرتها بزيارتها للأطفال الأيتام وانضمت بعد سنة إلى مجموعة أفراد يخدمون أطفال الشوارع والأيتام بالرياضة والموسيقى، استمتعت فريدة بما تعمل ولم تفكر بالطريقة التي يفكر بها البعض حين يطرقون هذه الأبواب أنهم يشترون تذاكر لدخول الجنة بهذه الخدمة، لم تكن مصطنعة بل خُلقت الرحمة داخلها، ولم تعد تفكر فيما يضايقها بل بالعكس أصبحت صديقة للعديد من البنات اللائي وجدن فيها محبة وأمومة وقدوة لهن فكانت تتابعهن وتستمع لقصصهن محاولة المساعدة وإرشادهن للطريق الصحيح وتعويضهن بالحب والرعاية عما يعانونه في حياتهن من ظلم الرفض من المجتمع والحرمان من الوجود داخل أسرة تهتم لأمرهن وتعولهن وتعينهن على الحياة.

وومضت فكرة إنشاء ملجأ أو دار ترعى فيها الأيتام وبعد أن عارض باسم في البداية لكبر المسئولية، إلا أنه وبعد إلحاح متواصل منها ساعدها في تأجير مكان، أطلقت عليه اسم (ليك مكان).

إن كنت محتاجًا، معوزًا، يتيمًا، أرملة أو مُسنًا.. تأكد أن (ليك مكان).

استلمت فريدة أول طفلة لها في الدار، كانت قد وُجدت في صندوق للنفايات وانتبه إلى صوت صراخها أهل الحي، تم تسليمها

إلى الدار وهي في حالة مزرية، لا تعرف ملامحها من كثرة الاتساخ والنفايات العالقة بها، وبالرغم من تنظيفها وتحميمها إلا أنها ظلت الرائحة الكريهة تنبعث منها لعدة أيام متتالية.

●●●

obeikan.com

كابوس ونهاية

رأت حنان فيما يرى النائم، أنها كانت تسير في إحدى المقابر، تزور أحد الموتى، لكنها لم تتبين قط من هو الذي ذهبت لتزوره وقد وافته المنية، كانت تسير سيرًا بطيئًا وثقيلاً، يتصبب العرق من على جبينها، كمياه سائلة من صنبور مياه مفتوح وإذ قد لوّحتها الشمس الحارة وفيما هي واقفة تُخرج منديلاً من حقيبة يدها، تجمدت مكانها حين انتبهت ليد ظهرت فجأة قابضة على قدميها وشلتها عن الحركة، وحين نزلت بعينيها إلى صاحبة هذه اليد التي ظهرت بغتة، قد وجدتها فتاة في غاية الجمال، ذات عيون خضراء وشعر أصفر مسترسل على ظهرها وحول وجهها، مرتدية رداء أبيض واسعًا قصيرًا، حاولت حنان بجهد مُضنٍ أن تنزع يديها وتهرب من المدفن إلا أن الفتاة لم تُحرك يديها بل ظلت تبكي وحين حاولت حنان إفلات يد الفتاة، ظلت الفتاه تتوسل إليها وعينيها تومضان وميضًا مستعطفة إياها وهي تصرخ، قائلة: اجلسي معي.

أجابتها حنان مصدومة صارخة: لا لا أستطيع، تعالي أنتِ معي.

إلا أن الفتاة لم تقل سوى أقيمي معي ههنا، أنا لا أستطيع الخروج.

ظلت حنان تبكي وتصرخ مقاومة الفتاة، كانت تبحث حولها بعينيها مُتجهة برأسها يمينًا ويسارًا عن أي شخص يأتي إلى مساعدتها لينقذها من هذه الفتاة أو هذه الروح، كانت دقات قلبها تدق دقات عنيفة، سريعة، متواترة، إلا أنه لم يوجد أحد حولها وبعد أن أصاب حنان شعور بالمرارة والألم، وهي تجاهد وتُصارع يد الفتاة ودموعها، سمعت صوتًا عذبًا يوقظها:

ماما ماما.. ماذا بكِ؟ ولماذا تبكين؟ فتحت حنان عيونها لتجد فرح وكانت دموع حنان على وجهها كما كانت دموعها قد بللت المخدة تحت رأسها، وحين هدأت حنان، ظلت تفكر في معنى هذا الحلم حيث قد أرقها وأتعبها من الخوض فيه والتفكير فيما يحويه من معنى.

●●●

شادي وحنان

أهلاً أهلاً عم سمير.. كيف حالك؟

أهلاً يا عزيز أنا بخير بُني، أنت كيف حالك؟ سمعت أنك ستترك العمل..

نعم يا عم سمير، كما تعرف لم أشعر أن العمل هنا في دار المسنين يناسب أحلامي والحمد لله قد وفقني الله في عمل مشروع صغير قمت به أنا وأصحابي وأعتقد أن هذا وقتًا مناسبًا لأتفرغ له بكل وقتي، وقال مُداعبًا ومُبتسمًا ابتسامته المعهودة، بكل تأكيد سآتي لزيارتك يا عم سمير.

أومأ العم سمير بوجهه إيماءة تدل على الحُزن والضيق.. وقد لاحظ عزيز ما يدور في فكره، فاتجه بالحديث اتجاهًا أخر:

يا عم سمير، أرى أنك لا تترك اللاب توب منذ أن أرسل به ابنك لك، من الواضح أنك تعلم كيفية التعامل مع الجهاز وكأنك أستاذ.

ضحك عم سمير مُقهقهًا، بقضي وقت، الفراغ صعب كما تعلم وابناي شادي وفادي منذ سافرا إلى أمريكا وتركاني في الدار يقومان بالصرف عليّ وإرسال مبلغ كل شهر، كنوع من إراحة ضمائرهم نحوي، لكن.. تنهد العم سمير تنهيدة عميقة ولم يرد أن يتلامس مع الأوتار الضعيفة في قلبه وآثر أن يُغير مجرى الحديث.

تكلم عزيز مُعضدًا إياه بكلمات مُشجعة، أنهم هنا كلهم أهله، وكلهم عائلة واحدة ووعده أنه لن ينقطع عن زيارته.

أريد فقط أن ألفت انتباهك يا عم سمير أن الجلوس بصورة مستمرة أمام شاشة اللاب توب يُضعف النظر!

ابتسم العم سمير قائلاً: ليس لدي الكثير لأخسره، والعمر المتبقي لم يعد كثيرًا.. اتركها لله.

وحين سمع صوت رسالة على الماسنجر، استأذنه عزيز، فتح العم سمير حسابه فوجدها حنان..

شادي..

أهلاً حنان.. لقد تأخرتِ اليوم!

نعم.. لكني.. أشعر بالضجر والضيق..

لماذا حنان؟ ماذا حدث؟

قصت عليه حنان حلمها..

صمت قليلاً، ثم استطرد قائلاً: هل لديكِ تخمين عن معنى هذا الكابوس؟

تأخرت قليلاً ثم كتبت: بدون أن تغضب مني!!

obeikan.com

ماذا سيغضبني؟!!

فقط عدني أنك لن تتضايق أو حتى تغضب!!

أعدك بذلك.

في الواقع ربما يكون هذا الكابوس هو إنذار من الله لي، أن اعتقادي الأكبر، أن هذه الفتاة الجميلة هي طريق الشر الذي يحلو لي وأنا أسلك فيه، وإن أنا استمررت فيه سيؤدي بى إلى هلاكي وأعتقد أن الهلاك هو نهايتي مع أسرتي!!

سألها: وما هو نوع الشر الذي تقومين به؟؟

تأخرت في هذه المرة أكثر من دقيقتين، ثم كتب هو:

حنان أين أنتِ؟؟

أنا هُنا شادي.. في الحقيقة خطئي الوحيد الذي أقوم به هو حديثي معك..

لم يكتب العم سمير شيئًا ثم كتبت هي:

شادي أنت هُنا!! هل أنت غضبان؟؟

أبدًا أبدًا حنان..

أفهم من ذلك أنك تنتوي شيئًا.

obeikan.com

بصراحة.. أنا لن أتكلم معك مرة أخرى، أحتاج إلى الاهتمام بأسرتي أكثر من ذلك..

حنان أنا لم أستطع إجبارك على شيء، كما تريدين.

فَضل العم سمير ألا يبوح بشخصيته الحقيقية لأحد، كان دائمًا متقمصًا لدور أحد أبنائه في أمريكا حتى يكون موضع إعجاب من الفتيات.

وكتبت هذه المرة كما بدأت من شهور ماضية بالإنجليزية التي لم تتعد بضع كلمات والتي لم تستخدمها منذ أول مرة بدأت فيها الحديث معه.

See you shady.

See you hanan.

مر يوم، ثم يومان وحنان تشعر أنها مفتقدة جزءًا مهمًا في حياتها فقد كان يشغل معظم وقتها وقد اعتادت عليه والحديث معه، وقفت في شرفة البيت وهي ناظرة إلى السماء، كانت السماء ساكنة بشكل كبير تبعث على النفس الراحة والطمأنينة، رفعت عينيها إلى الأعلى، طلبت داخلها من الله أن يغفر لها ويساعدها ألا تضعف وترجع تتحدث إلى شادي مرة أخرى.

كما تعودت فريدة منذ أن انتهت من سنوات الجامعة هو أن تتحدث مع كرستين في كل أعيادها لتتمنى لها عيدًا سعيدًا مع أسرتها وكانوا دائمي الزيارة إلى بعضهما البعض، إلا أنه بعد أن انتقلت كرستين إلى الإسكندرية مع زوجها وولديها ظلت المكالمات التليفونية هي حلقة الوصل بالإضافة إلى صداقتهم على الفيس بوك ومعرفة أخبار بعضهما البعض وفي إحدى ليالي رأس السنة اتصلت فريدة بصديقتها كرستين لُتعيد عليها وتتمنى لها عيدًا سعيدًا.

فريدة: كرستين حبيبتي كل سنة وأنتِ طيبة.

كرستين: أهلاً أهلاً يا فريدة وأنتِ طيبة وبصحة وسلامة.

فريدة: يارب سنة سعيدة عليكِ وعلى أسرتك كلها.

كرستين: آمين يارب لنا كلنا.

سمعت كرستين صوت زوجها، هيا يا كرستين، اتأخرنا حبيبتي.

أجابت دقيقة واحدة وسأكون على أتم استعداد.

سألتها فريدة: هل أنتِ مشغولة؟

كرستين من الممكن أن أتحدث إليك في وقت لاحق.

كرستين: نحن فقط نجهز لحضور حفل رأس السنة في الكنيسة.

فريدة: أنا أيضًا سأحتفل خارج المنزل مع زوجي وأخي وزوجته، حيث إن باسم دعانا جميعًا لنسهر في أحد الفنادق.

قالت كرستين: رائع جدًا، فلتستمتعي فريدة أنا مفتقداكِ جدًا وأتمنى أن أتحدث معكِ كثيرًا.

فريدة: أنا أيضًا كرستين.

كرستين: دعيني أتصل بكِ غدًا، وبعد أن انتهت المكالمة، لم تكن فريدة تعلم أن هذه المرة ستكون الأخيرة ولن تستطيع سماع صوتها مرة أخرى.

خرجت فريدة مع عائلتها، كان المكان عن جد فخمًا وجميلاً وبدأت الفرقة الموسيقية في عزف إحدى المقطوعات الموسيقية وقام العديد للرقص ومنهم فريد وليلى، كانت فريدة تتمنى أن تقوم لترقص بين ذراعي زوجها إلا أن باسم رفض، فهو لا يتقن الرقص ولا يريد أن يكون محط أنظار ومصدر للسخرية من الأخرين باختصار هو يخجل من أن يقوم ليتراقص مع زوجته، وبعد أن أعلن رفضه، ظهر على ملامحها الضيق والاختناق إلا أنها تعلمت أن تُمرر لحظات الضيق والغضب بسرعة ولا تظهرها

لأنه لا فائدة من إظهارها سوى زيادة الضيق، وبعد الانتهاء من الرقص تعشوا سويًا وذهب كلاً من الزوجين إلى بيوتهم.

كانت الكنيسة مزدحمة جدًا كالعادة وخصوصًا أيام الأعياد والاحتفالات كان الكل في أزهى حُلة بملابس جديدة بملابس العيد، كما كانت كرستين وأسرتها، وفي أثناء الاحتفال داخل الكنيسة كان الولدان أولاد كرستين، ظلاّ يبكيان أثناء تواجدهم في الكنيسة؛ بسبب كثرة الازدحام وقبل انتهاء الاحتفال بدقائق معدودة وإذ أن صوت بكائهم تعالى وبدأ بعض المصلين يتضايقون من الصراخ، خرجت بهم كرستين، وبالكاد وصلت إلى الساحة الخارجية عند باب الكنيسة لتقف منتظرة زوجها، انفجرت قنبلة في أحشاء المصريين مسيحيين ومسلمين، بحث زوج كرستين حوله أولاً بعينيه ثم بدأ يتنقل بجسده، تائهًا بعينيه الشاردة يبحث عنهم في كل مكان، إلا أنهم ليسوا بموجودين.

خرج يبحث عنهم إلا أن الصورة كانت صعبة، صراخ وعويل، قطع من الأجساد متناثرة على الأرض، صرخ الزوج صرخة مدوية: آآآآآآآآه، سُمع صداها في أرجاء المكان حين وقعت عينيه على قميص أحد أبنائه غارقًا في الدم، جرت دموعه كالدم الجاري على الأرض، وجدهم بمنتهى السهولة والقسوة ميتين، آآآه ومية آآآآآه يا أولادي يا غاليين، قلبي ليس فقط متألمًا، لكنه متقطع،

ظل الزوج جاثيًا على الأرض وظل يبكي وينتحب بجانبهم حتى الصباح، والإسعاف يلملم الأشلاء، كيس مغلف هنا فيه ساق وكيس هنا فيه قدم، لو التاريخ لم يكتب أو يذكر ما حدث، الدم على باب الكنيسة يُسطر ويتحدث.

حين توالت الأخبار المؤلمة عن التفجير الإرهابي الذي حدث في منتصف الليل، في أولى دقائق العام الجديد في كنيسة القديسين الذي كان سببًا لوجع المصريين أجمع، انشطر قلب فريدة من الوجع وعلى الطريقة القاسية التي فارقت بها رفيقة عمرها، كما اعتصرت داخلها لسماع الأخبار الحزينة متوالية واستشهاد أكثر من عشرين شخصًا وإصابة أكثر من مائة شخص آخر بإصابات مختلفة..

أمسكت فريدة بقلمها ودموعها وبدأت تُسطر ما تشعر به من خواطر:

يا قلبي يا موجوع مكسور بين الضلوع

يا ما آسيت من ناس على كل شكل ولون

جيت أدوّر عليك بين ضلوعي أدوّر عليك

ليه لاقيتك أشلاء لا عارفة أضمك ولا حتى أداويك

قولي ليه قولي ليه جاوبني مين جالك

بسكين مسنون عاملك بلا رحمة وأتعلم فيك الأسية

آه يا وجعي ووجع قلبي ولا عمري فكرت ألاقيك متألم

يا عمري اللي راح من بين إيديا إيه اللي حصل إيه اللي بيا

ده قلبي كان جوا اللي جوا وكان من برة محاوطني

يا ضماير الناس ليه موتى ويا قلوب ليه اتجمدتِ

ده قلبي مش عارفة ألِمه، أضمه وأرجعه من تاني جوه

أرجعه وأحوط عليه ويمكن أشيله جوه وأخبيه من كل اللي بره

وبعد أيام قليلة ذهبت فريدة إلى بيت عائلة كرستين في القاهرة لتقديم واجب العزاء لوالدتها وأخواتها، كانت دموعهم لم ولن تجف من مرارة الألم والإحساس بالاضطهاد، تواترت وترددت كلمة هجرة هناك وحينها انقبض قلبها في صدرها لسماع هذه الحروف وللتو تذكرت إليانا وعائلتها اليهودية، لم تستطع الكلام حينها فكانت كل الحروف ثقيلة في فمها وكأن قطعة من الرخام وقفت عائقًا لخروج الكلمات من حلقِها، ووضعت في قلبها أن تزورهم مرة أخرى تنهيهم فيها عن ترك بلدهم وعدم الاستسلام بسهولة، إلا أنها لم تمر أيام قليلة وتضافر المصريون يدًا بيد

وثاروا على الفساد المستشري في البلاد في الخامس والعشرين من شهر يناير سنة ٢٠١١، نسى الأقباط مشاكلهم الخاصة وتوجهت العيون نحو الوطن، الوطن وكفى.

قام بعض الشباب بالإعلان عن المظاهرات ودعوة الجميع للقضاء على هذا الفساد والفقر والظلم من قِبل النظام الحاكم، وكان شعارهم (خبز، حرية، كرامة إنسانية).

سمعت فريدة مثلها مِثل غيرها من شاشة التلفاز ومن موقع التواصل الاجتماعي فيس بوك، تمنت أن تكون موجودة معهم، تمنت أن تتغير مصر إلى الأفضل، كما أرادت أن يعيش كل مصري آمنًا ومطمئنًا في وطنه دون تمييز بين مواطن وآخر.

باسم، ما رأيك أن نشارك مع هؤلاء الشباب في هذه المظاهرات؟!

ماذا تقولين فريدة؟!! هل تظنين أن حبيب العادلي سيتركهم يفعلون ما يريدون؟ مصيرهم إما السجن أو القتل؟

باسم، أرى أنه توجد إرادة وتصميم من الشباب ولا أعتقد أن الأمر سيمر هكذا.

فريدة دعينا نرى ما سيحدث، دون مشاركة لا تنسي أننا لدينا بنتان صغيرتان تحتاجان إلينا.

تضايقت فريدة داخلها دون أن تنطق بحرف واحد.

وعندما قرأت فريدة عن مظاهرات يوم الجمعة (جمعة الغضب) والاحتشاد في ميدان التحرير وميادين مصر كافة، عرضت على باسم النزول إلا أنه أجاب بالرفض القطعي مرة أخرى، وحين عرفت من فريد أنه سيكون في ميدان التحرير يوم الجمعة شعرت بالغم من خوفها عليه إلا أنها فكرت في النزول.

وكان صباح الجمعة الثامن والعشرين من شهر يناير..

باسم، سأنزل أشتري بعض الخضروات من البائع أسفل البناية

لا تتأخري فريدة.

حاضر..

وما إن نزلت فريدة حتى شردت قليلاً بفكرها، لماذا هي هكذا على طول الخط تابعة ليس إلا؟ لماذا لم تفرض رأيها يومًا وتتحمل نتيجة قرارها مهما كانت؟ لماذا تعيش دائمًا مغلوبة على أمرها؟ فالإنسان عندما يعيش مغلوبًا على أمره تنتهي حكايته، أرادت أن تعيش غالبة لا مغلوبة، تحارب وتناضل من أجل أهدافها وأحلامها وإن لم يكن لها أهداف واضحة وأحلام فهو الوقت

المناسب لتحلم وتحقق أحلامها ولا تعيش كسمكة ميتة في مياه راكدة.

تذكرت كرستين التي لم تنسها يومًا والكلمة الثقيلة كلمة هجرة، أخذتها قدماها إلى كورنيش النيل ثم إلى التحرير واتصلت بفريد لتلتقي به هناك، أرسلت رسالة قصيرة إلى زوجها أنها ستشارك في المظاهرات مهما كلفها الأمر وما إن أرسلتها حتى أغلقت هاتفها المحمول.

وقبل قطع الاتصالات وقطع خدمة الإنترنت وإعلان حظر التجوال كان باسم في ميدان التحرير مع فريدة وفريد ومع الثائرين على النظام الفاسد..

انضم فريد لمجموعة الأطباء هناك في ميدان التحرير.. الذين حاولوا إسعاف ومعالجة مصابي الثورة، كان هناك طوال الثمانية عشر يومًا دون أن يُبرح مكانه.. أصبح لديه العديد من الأصدقاء.. وبعد نجاح الثورة بفضل خيرة وشباب هذا الشعب وعمت الفرحة قلب كل مصري، بعد تنفيذ أولى مطالبهم وهو تخلي الرئيس مبارك عن السلطة.. بدأت مصر طريقها نحو الحرية، نحو غد أفضل.

وعاد فريد إلى عمله وقد علق يافطة علي باب عيادته مكتوب عليها: (يوم الجمعة من كل أسبوع للعلاج المجاني).

وبعد أيام استغنت شركات السياحة عن أغلب الموظفين وأغلقت بعض الفنادق لانهيار السياحة التي مازالت حتى الآن تحاول التنفس والعودة للحياة مرة أخرى وتم الاستغناء عن ليلى، ومازالت حنان تقاوم رغبتها الرديئة في العودة مرة أخرى للحديث مع شادي (العم سمير)..

الاستسلام للأحداث هو الموت ذاته.

وبعد ثلاث سنوات من الثورة، أصبحت عيادة فريد مكتظة كل يوم جمعة بالمرضى الغير قادرين، كما أصبح مشغولاً في عمله طوال أيام الأسبوع بعد أن ذاع صيته في الحي برحمته وأخلاقه الجيدة وإجادته عمله.. كما اتصلت شركة السياحة بـ ليلى وعادت للعمل مرة أخرى بفكر مختلف وأصبحت أكثر إحساسًا بالمسئولية، ودخل كريم المدرسة.

عاشت حنان بالأمانة مع زوجها بعد مُعافرة شديدة مع نفسها وسقوطها عدة مرات إلا أنها كانت تقع وتقوم، تعود لتتحدث معه ثم تبعد مرة أخرى ومنذ سنة تقريبًا وهي واقفة على قدميها دون سقوط، كما اندمل جرح وجدي.

استطاع باسم كما سمحت له فريدة، أن يمحي كل أثر للماضي وأن يشفي كل جرح غائر في قلبها، ولم تعد وترًا وحيدًا في عود.

بل أصبحت فريدة مثل شجرة زيتون خضراء، ثمارها جميلة الصورة والجوهر، كما تحولت دار أيتام (ليك مكان) إلى مبنى كبير يحوي عدة أدوار قسمت للمسنين والأطفال الأيتام..

تزوج عزيز وأنجب ابنًا دعا اسمه فريد.

وتستمر الحياة.

فلتحيا الحياة.

فلتحيا الحياة.

بوركت الحياة كما بورك الأحياء.

محمود درويش.

opeikan.com

الفهرس	الصفحة

مقدمة :..... ٧

تمهيد:..... ٩

البداية:..... ١٧

فريدة:..... ٢١

ألم وأمل:..... ٢٧

حنان ووجدي١:..... ٤٩

عزيز١:..... ٦١

حنان ووجدي ٢:..... ٧١

عزيز ٢:..... ٨٣

عيد الأضحى المبارك:..... ٨٩

أحلام وعود كبريت:..... ٩٧

فريد ١:..... ١٠٩

هناء:..... ١١١

حنان ووجدي ٣ :..... ١٢٧

obeikan.com

حازم ١:..... ١٣١
باسم:..... ١٤٧
فريد ٢:..... ١٥٥
حازم ٢..... ١٥٧
حنان ووجدي ٤:..... ١٧٣
فريد ٣:..... ١٨٥
عزيز ٣:..... ٢٠١
كابوس ونهاية:..... ٢٠٩
شادي وحنان:..... ٢١١
الفهرس: ٢٢٥

obeikan.com

obeikan.com

حقوق الطبع محفوظة للناشر

أطلس

للنشر والإنتاج الإعلامى

يحظر نشر أو اقتباس أى جزء من هذا الكتاب إلا بعد الرجوع إلى الناشر

obeikan.com